أروع القصص العالمية

الحديقة السرّية

إكاديميا

أروع القصص العالمية الحديقة السرية إكاديميا

هذه المجموعة من روائع الأدب العالمي الكلاسيكية توفّر للقارىء متعةً تجعله يعيش في عالم من الإثارة والتشويق والخيال، ومرجعاً أدبياً يعين الطالب في فهم مميزات الرواية الكلاسيكية والحبكة الدرامية.

عندما صدرت رواية «الحديقة السرّية» في عام 1911، من تأليف فرانسيس هودجسون بورنيت، كانت من أكثر قصص الأطفال شهرة. تسرد هذه الرواية قصة فتاة يتيمة تدعى ماري لينوكس عثرت على مفتاح باب خفي قادها إلى عالم سحري في الحديقة السرّية.

في هذه السلسلة

فرانكنشتاين	جزيرة الكنز
الدكتور جيكل ومستر هايد	روبنسون كروزو
دراكولا	الحديقة السرية
شبح الأوبرا	أوليڤر تويست
20 ألف قدم تحت الماء	نداء البراري
رحلة إلى باطن الأرض	بلاك بيوتي- المهر الأسود


ISBN 9953-37-420-1
9 789953 374208

أروع القصص العالمية

الحديقة السرّية

كتبها بتصرُّف
بولين فرانسيس

ترجمة
إيزيس خليل

أكاديميا

الحديقة السرّية

ISBN: 9953-37-420-1

The Secret Garden

First published by Evans Brothers Limited (a member of the Evans Publishing Group)
2A Portman Mansions, Chiltern Street, London W1U 6NR, United Kingdom

Academia International أكاديميا انترناشيونال
P.O.Box 113-6669 ص.ب.
Beirut - Lebanon 1103 2140 بيروت – لبنان
Tel (961 1) 800811-862905 -800832 هاتف
Fax (961 1) 805478 فاكس
E-mail: academia@dm.net.lb بريد الكتروني
www.academiainternational.com

أكاديميا هي العلامة التجارية لأكاديميا إنترناشيونال
ACADEMIA is the Trade Mark of Academia International

الحديقة السرّية

الفهرس

المقدمة

ولدت فرانسيس هودجسون بيرنت في مانشستر عام 1849، وهي مدينةٌ كبيرةٌ تقعُ في شمال إنكلترا، وبعد موتِ والدِها بعدَّةِ سَنواتٍ انتقلتْ هي وعائلتها الفقيرة إلى أميركا. وهناك بدأتْ فرانسيس بكتابةِ القصص لإحْدى المجلاّتِ لكي تكسِبَ بعضَ المال، وفي عام 1873 تزوجت فرانسيس من سوان بيرنت.

في البداية كانت فرانسيس تؤلِّفُ رواياتٍ للبالغين. وبعدَ ذلك، وفيما كان ولداها يكْبُران أخذت تكتبُ في مجلةِ قصّةً مُسلْسَلةً للفِتيان أسمتها "ليتل لورد فونتليروي" نشرت فيما بعد في كتاب، ثم كتبت كتباً أخرى مثل "سارة كروي" و"ذا ليتل برنسس".

في عام 1909 بدأت فرانسيس بيرنت بزراعة حديقة منزلها الذي كانت تبنيه في أميركا، وألهمها ذلك فكرة هذا الكتاب «الحديقة السرية» الذي نشر في عام 1911 وأصبح من أشهر كتب الأطفال.

يروي هذا الكتاب قصة فتاة يتيمة تدعى ماري لينوكس انتقلت من الهند للعيش مع عمها في منزله الكبير في يوركشاير بإنكلترا. كانت ماري طفلة حزينة وحادة الطبع ووحيدة تماماً كابن عمها الذي اكتشفت أنه يسكن معها في نفس المنزل. ومن خلال عملهما الكاد في حديقتهما السرية يكبر هذان الطفلان ويمتلآن صحة وسعادة.

وتوفيت فرانسيس هودجسون في عام 1923.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

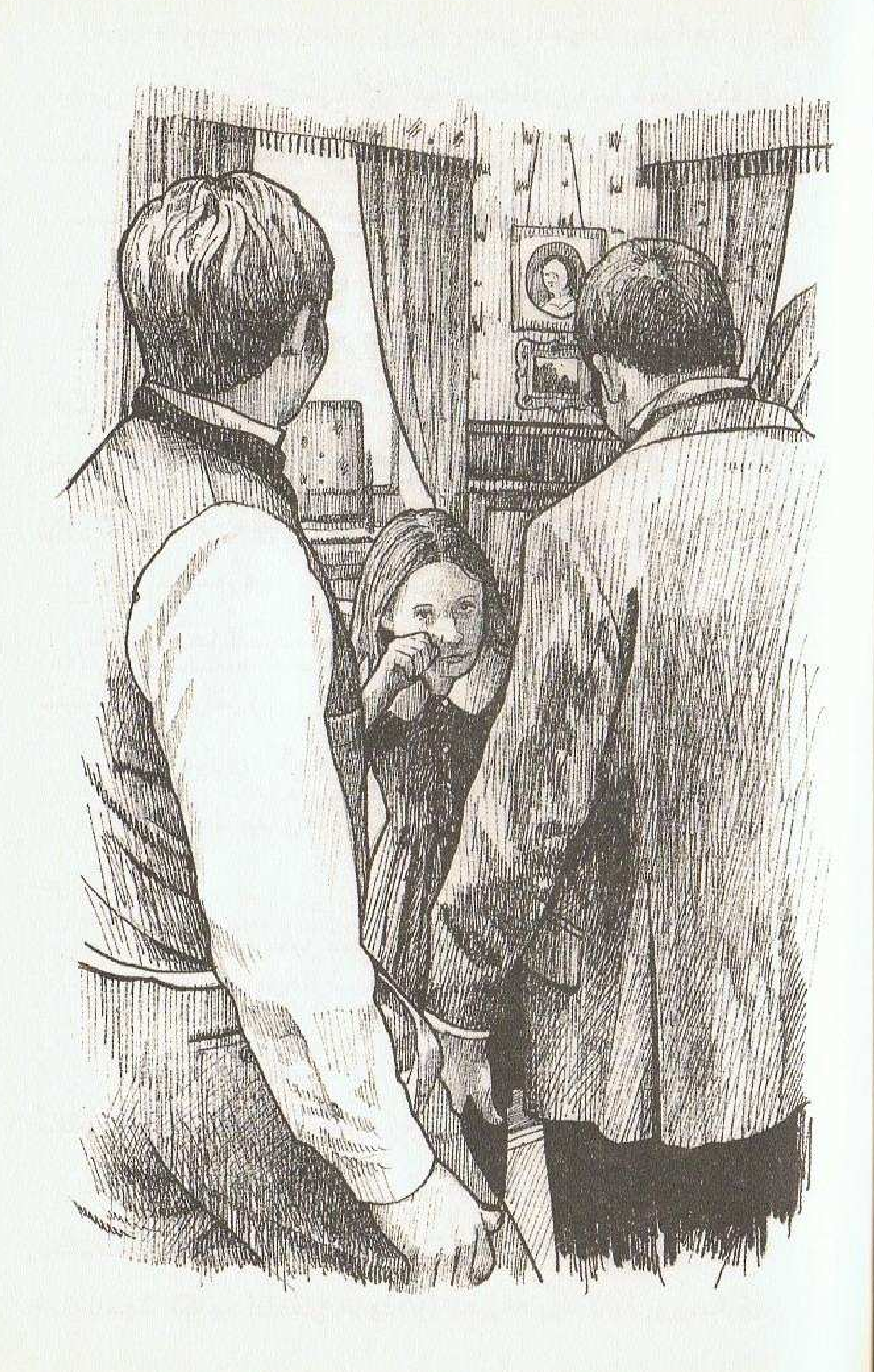
وَحِيدَة

كانت ماري لينوكس طِفْلَةً نَحيلة، وَجهُها صغيرٌ تُحيطُ به خُصُلاتٌ رقيقةٌ مِنَ الشَّعْرِ. وَكانَ الجَميعُ يَلْحَظُ عَلى الطِّفْلَةِ ماري أنها كانت طِفْلَةً مُشاكِسَةً حادَّةَ الطَّبْعِ. إلاّ أنَّ ذلك لم يكُن ذَنْبَها. وُلِدتْ ماري في الهِند حَيثُ كانَ يَعْملُ والِدُها في ذلك الحين، أمّا والِدتها فقد كانت آيةً مِن الجَمال تحبّ أن تَستَمْتِعَ بأوْقاتِها. إلا أنّها لم تكُنْ تُريدُ الإنْجاب، ولِذلِك تَركتِ الطِّفْلَةَ ماري في رِعايَةِ المُربِّين والخدم. وَهكذا نَشأتِ الطِّفْلَةُ ماري عَلى المِزاجِ السَّيِّئ والطِّباعِ الحادّة، ولَطالما أرادتِ الخُروجَ مِن ذلك كُلِّهِ لتتلَمَّسَ طريقَها في هذِه الحياة.

ذاتَ يَوْمٍ، وكانت ماري قد بلغتِ التّاسِعةَ مِن عُمْرِها، استيقظتْ غاضِبَةً مُتكدِّرةً. وَما زادَ من شُعُورِها بذلك هُوَ عدَمُ مَجيءِ المُربِّيَةِ لإيقاظِها.

"هُناكَ شَيءٌ غريب يَحدُثُ،" فَكَّرت ماري، "ولكِنَّني لا أَعْلَم ما هُوَ."

وطِيلَةَ ذَلِك اليَوْم واليَوْم الذي تلاهُ، بَدا أنَّ الجَميعَ قَدْ نَسيَ ماري. عَلِمت فقط أنَّهُ كانَ هُناك أشْخاصٌ يُصارِعون المَرَضَ وَأنَّ البَيْتَ امتلأ بالأَصْواتِ المُرْعِبَة. اخْتَبأت ماري في غُرْفتِها وَلَم يَأْتِ أَحدٌ لاصْطِحابِها. وفِي اللّيلِ، زحفت إلى غُرْفَةِ الطَّعامِ فوجدتْها خالِيَة، ولكنّها وَجدتْ بَعْضَ الطَّعامِ عَلَى الطّاوِلَة وكُوباً مِن الماءِ، فَشرِبَتْه.



لَم تَعْلَم ما جرَى، فرجعَت إلى غُرْفَتِها وغطَّتْ في نَوْمٍ عَميقٍ لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ.

عِنْدما اسْتَيْقَظت ماري، كَانَ الصَّمتُ يُخَيِّمُ على المنزل. فَجأَةً سَمِعَت صَوْتَ وَقعِ أقْدام. وبَعْدَ دَقائِقَ قليلةٍ، فُتِحَ بابُ الغرْفَةِ وظهر رَجلٌ نظرَ إلى ماري مذهولاً، ثم هتفَ للرَّجُل الذّي كانَ يقفُ خلفه:

"تُوجَدُ طِفْلَةٌ هُنا! مَن تراها تكون؟".

صرخَت ماري بِغَضَبٍ: "أنا ماري!"... لماذا لم يأْتِ أحدٌ ليأْخُذني؟"

دَخَلَ الرَّجُلُ الآخَر إلى الغُرْفَةِ، وقال: "يَبْدو أنَّ هَذِه الطِّفْلَة قد تُرِكَتْ بغيرِ قَصْد!"

ضربَتْ ماري الأَرْضَ بِقدَمِها وصرخَت غاضِبَةً: "لماذا نُسيتُ؟".

أَجابَها الرَّجُل بِحُزْنٍ: "يا صَغيرتي، لم يبقَ أَحدٌ ليأتي ويأْخُذك. وَالِداك والمُربّون والخَدمُ كُلُّهم ماتوا يا صَغيرَتي بداءِ الكوليرا".

بَعْدَ تِلْك الحادِثَة بِأُسْبوعٍ، وَجدَتْ ماري نَفْسَها على مَتْنِ سَفينَةٍ مُتَّجِهَةٍ إلى إنكلترا. حيْث ستَنْتَقِلُ للعيْشِ مع عمِّها السَّيِّدِ أرشيبالد كرافن الذي يقطُن في قصْرٍ في مُقاطَعةِ يوركشاير. جاءَت مُدَبِّرَةُ مَنزِلِ السَّيِّد كرافن، واسمُها السَّيِّدَة مدْلوك، لاصْطِحابِ ماري. وكانت سَيِّدَةً مُمْتَلِئَةَ الجسم، خدّاها حمْراوان، وعَيْناها سَوْداوان حادَّتان. لم تُحِبّها ماري أبداً، وهذا لَيْس بالشَّيْءِ الغريب، فماري لم تُحِبَّ أَحداً مِن قبْل! كذَلِك كانَ الأَمْرُ بالنِّسبَةِ للسَّيِّدَة مدلوك، فَهِي بدورِها لم تُحبّ ماري أيضاً. فقالت في نفسها: "يا إلهي! إنَّها تبْدو فتاةً عادِيَّة، ويُقال إن والِدَتها كانَت امرأةً فاتِنَةً... لا يسعُنا أن نفعلَ الكثيرَ في منْزِلِ السَّيِّد كرافن لكي نزيدَ من جمالِ هذه الفَتاةِ الصَّغيرة."

كانَت ماري شديدة التساؤل عَن عمِّها. كَيْف يَبْدو؟ فقد قال لَها شخصٌ في الهند إن عمَّها كان أَحْدبَ الظَّهْرِ. فما مَعنى ذلك؟. بَدأت تشعُرُ بـالوَحْدَةِ. لماذا لم تَنْسَجِمْ مع مُحِيطها، حتَّى قَبْل مَوْتِ والِدَيْها؟ لماذا لم يُعِرْها أحدٌ أيَّ اهْتِمام؟ لم تَعْرِفْ ماري بالطبع أنَّ سَبَب ذَلِك يَعودُ إلى سُلوكِها السيِّىء...

في اليَوْمِ التّالِي، سافرتْ ماري مَع السَّيِّدَةِ مِدْلوك بالقِطارِ إلى مَنْزِلِ العَمِّ كرافن في يوركشاير. لم يكُن لديها شيءٌ تقرأه، فثنَتْ يَديها ووَضعَتْهما على حُضْنِها، وكانت تبدو بِثَوْبِها الأَسْوَد وقُفَّازَيْها السَّوداوَيْن أكْثر شُحوباً، وكان شَعْرُها يتبعثَرُ تحت القُبَّعَة التّي كانت تَعْتَمِرُها.

نظرَت إليْها السَّيدةُ مِدْلوك وَسألَتْها: "هَل تَعْلَمين أيَّ شيءٍ عَن عمِّكِ السَّيِّد كرافن؟"

أَجابَتْها ماري: "لا، لا أَعْلَم."

قالتِ السَّيدَةُ مِدْلوك: "يمكِنني أن أخبركِ أنَّكِ ذاهِبَةٌ إلى مكانٍ غريبٍ!"

لم تتفوَّهْ ماري بأيَّةِ كلِمةٍ. فتابعَتِ السَّيِّدَةُ مِدْلوك:

"بَيْتُ العَمِّ أرشيبالد ضَخْمٌ جِدّاً، وَمُظْلِمٌ نَوْعاً ما. يَعودُ تاريخُهُ إلى ستمئة عامٍ، وَهو يُطِلُّ على مُسْتَنْقَعٍ. فيه مِئاتُ الغُرَفِ ومُعْظَمها مُغْلَق. وهُناك أَشْجارٌ وَحدائِق. وما عدا ذلك، لا يوجَد شَيْء."

بَدأت ماري بالإصْغاءِ إلى السَّيِّدةِ مِدْلوك. يَبْدو أنَّ ذلِك المَكان يَخْتلِفُ كُلِّياً عَن مَنْزِلِها في الهند، وكان كلُّ شيءٍ جديد يحوزُ على اهتمامها، لَكِنَّها لم تَكُن تُريد أن يَبدو عَلَيْها ذَلِك. وربما كان هَذا

واحِداً مِن صِفاتِها السَّيِّئَةِ. ولذلك أَكْمَلَتْ تَناوُل طعامِها بِصَمْتٍ.

سَأَلَتها السَّيِّدة مِدْلوك: "حسناً، ما رَأْيك بِذلك؟"

أَجابَتْها ماري: "لا شَيْء".

سَأَلَتْها السَّيِّدة مِدْلوك: "ألا يَهمُّكِ الأَمْر؟"

قالت ماري: "لا يَهمَّ رَأْيي".

تابَعت السَّيِّدَةُ مِدْلوك: "إنَّ عمَّكِ أَحْدَبُ الظَّهْرِ، وكان حادَّ الطِّباعِ حتَّى تَزوَّج. وكانتِ امْرأته إنسانةً رائِعَةً. لكِنَّها تُوفِّيت... وبَعْدَ وَفاتِها أَصْبح عمُّكِ صَعْبَ المِراسِ أَكْثر مِن ذِي قَبْل. لم يَعُد يكْترِثُ لأَحَدٍ. ويَرْفُضُ مُقابلَةَ النَّاسِ والاخْتِلاط بِهِم، ويَقْضِي مُعْظَمَ أَوقاتِه مُنْغَلِقاً في مكتبِهِ."

لم يُعط ذلِك لماري شعوراً بالتَّفاؤُل والبَهجَة. حدَّقَتْ عَبْرَ النَّافِذَةِ إلى البَعيدِ، وَأَطْبَقَتْ شَفَتَيْها بِقُوَّةٍ.

قالتِ السَّيِّدَةُ مِدْلوك: "لَن تَفْعَلي الكَثيرَ هُناك. وسوف تَلْعَبين بِمُفْرَدِكِ."

في مَحطَّةِ القِطارِ، كانَت هُناك عَرَبَةٌ تَنْتَظِرُ السَّيِّدَةَ مِدْلوك وماري لتَقِلَّهُما إلى المَنْزِلِ. وبعد أن اجتازتِ العَربةُ العَديدَ مِن القُرى، أَصاب التَّعَبُ الأَحْصِنَةَ وخفَّتْ سُرعتُها كما لو أنَّها تسيرُ صُعوداً. لم تَسْتَطِعْ ماري رُؤْيَةَ أيِّ شَيْءٍ باستِثْناءِ الضَّوْءِ الأَصْفَر للعَرَبَةِ. وَكانتِ الرِّيحُ تَصْفِرُ وراءَهم وسط ظَلامِ اللَيْل.

قالت ماري في نَفْسِها: "لا أُحِبُّ ذَلِك! لا أُحِبُّ ذلك!" وَلَم يَسَعْها فِعْلُ شَيْءٍ سِوى الإطْباقِ عَلى شَفَتَيْها بِقُوَّةٍ أكبر.

الفصل الثاني

بُكاءٌ في اللَّيْلِ

عندما فَتحَتْ ماري عَيْنَيها في الصباح، كان ذلك بسببِ دُخولِ الخَادِمَةِ إلى غرفتها لإشعال النار. استلقَتْ ماري على جنبها وأخذتْ تنظرُ إليها. كانَتِ الغُرْفَةُ مُظْلِمةً للغايَةِ، وعبر النَّافِذَةِ كانَتْ تشاهِدُ أراضٍ شاسِعَةً، إلاَّ أنَّ تِلْك الأراضِي لَمْ تكُن تَحْوِي شَجراً أو نَبْتاً، وَكانت تبدو وكأنها تمتدُّ إلى ما لا نِهايَةٍ كالبحر.

سَأَلت ماري الخَادِمَةَ: "مَاذا يُوجَد فِي الخَارِجِ هُناك؟"

أَجابَتْها الخَادِمَةُ بِلَهْجَتِها المَحلِّيَّة الغريبة: "يُوجد مُسْتَنْقع". "هَل تُحبِّين مَا ترين؟"

قَالت ماري: "ماذا قُلْتِ؟ لم أَفْهم شَيْئاً من لُغَتِكِ الغَريبَة".

ضَحِكَتِ الخَادِمَةُ وقَالَت لماري: "أَتكَلَّمُ اللَّهْجَة المَحلِّية لأهالي يوركشاير. هَل أَعْجَبَتك؟"

أَجَابَت ماري: "لا، لَم أُحِبّها".

قَالَتْ لَها الخَادِمَةُ: "ذلك لأنَّكِ لَم تَعْتادِي على سَماعِ هَذِه اللَّهْجَة. اسْمِي مارتا."

سأَلَتْها ماري: "هَل ستكونين خَادِمَتي؟"

أَجابَتْها مارتا بِحَزْم: "إنَّني خادِمةُ السَّيِّدَة مِدْلوك. وَلكنّي سَأقومُ بالخِدْماتِ المَنْزِليَّةِ المُتعَلِّقةِ بِك".

قالت ماري: "مَن سَيُساعِدُني عَلى ارْتِداء مَلابِسِي؟"

دُهِشَت مارتا وَسأَلَتْها: "أَلا تَسْتَطِيعين ارْتِداءَ ملابسك بمُفْرَدِك؟"

أجابَت ماري: "لا، كانَت مُرَبِّيَتي تَقومُ بِذَلك".

قَالت مارتا: "آنَ الأوان لِتَفْعَلي ذَلِك بمُفْرَدِك."

دُهِشَت ماري لِنَبْرَةِ تِلْك المَدْعُوَّة مارتا، وكانت على وَشْكِ أن تصفَعَها على وجهها، ولكنها تساءلَتْ عمّا ستفعله هذه الفتاة فيما لو صَفَعتها. فَجْأَةً شعرتْ ماري بِالغضبِ وَالحُزْنِ الشَّديدِ لِوَحْدَتِها. فدَفَنت وَجْهها فِي الوِسادَة وَراحَت تَجْهَشُ بِالبُكاءِ.

رَقَّ قَلْبُ مارتا: "لا تَبْكِ يا آنِستي. سَأُساعِدُكِ على ارْتِداءِ مَلابِسك".

وَفيما كانت مارتا تُساعِدُ ماري عَلى ارْتِداءِ مَلابِسها رَاحت تُحدِّثها عَن وَالِدَتِها وَأَخواتِها وَإِخْوَتِها، وَبالأخصّ عن أخيها ديكون:

"إنّه في الثَّانِيَةِ عَشْرَة مِن عُمْرِه، وَيَمْلِكُ مُهْراً صَغيراً، وَيَعرِفُ كُلَّ طَائِرٍ وَحَيَوانٍ في هَذا المستنقع".

بَعْدَ تَنَاوُلِ الإفْطار نَظَرَتْ ماري حَوْلَها وقالَتْ في نَفْسِها: "السَّيِّدَة مِدْلوك مُحِقَّة... ما مِن شَيْء يمكن فِعْلُه". ثم قالت مخاطِبَةً مارتا:

"سَأَذْهَبُ إلى الحَديقَةِ. مَن سَيَقومُ بمُرافقَتي؟"

أَجابَتْها مارتا ضَاحِكَةً: "سَيكونُ عَلَيْك الذَّهاب بِمُفْرَدك".

أَحْضَرَت مارتا لماري مِعْطَفاً وَحِذاءً عالِياً وقُفَّازَيْن وَأَرْشَدَتها إلى الطَّابق السفلي، ثُمَّ قَالت لَها: "إحدى هَذِه الحَدائِق الرَّائِعَة مُغْلَقة، لِذَلك لا تُحاوِلي الدُّخول إليْها".

"لِماذا؟" سَأَلَت ماري:

أَجابَتْها مارتا: "لقد أَقْفَلها السَّيِّد كرافن عِنْدَما تُوُفِّيَت زَوْجَتُه مُنْذ عَشْرَةِ أَعْوامٍ. وكانت الحَديقَة لها. ثم أَلْقى السَّيِّد بِمِفْتاح الحَديقَة بَعيداً".

مَشت ماري بَيْن الحشائِش حَتَّى وَصَلت إلى حدائِق المطبخِ الخَلْفِيَّة التي تحيط بها جُدْرانٌ عَالِيَة. ثم أَكْمَلَتْ سَيْرَها نَحْو بابٍ مَطْلِيٍّ بِاللَّوْنِ الأَخْضَر وَسط أَحَد تِلْك الجُدْران، فَتحته، فَوَجَدَت نَفْسها في بُسْتانٍ رَائِعٍ مَلِيءٍ بِالأشجارِ المثمرةِ النَّاضِجَة. في الجِهَةِ اليُمْنَى مِن البُسْتان، كانت هُناك جُدْرانٌ أُخْرَى وَلَكِن مِن دون أَبْواب. وَكانت أَطْرافُ الأَشْجار تبدو مِن الأَعْلَى. وَقَفَتْ ماري وَسَكَنَتْ لِلحْظَة، فرأتْ عُصْفوراً صدرُه أحمر يقِفُ عَلى أَحَد الأَغْصانِ. فجأة، أخذ العصفورُ يغرِّد، فما لبثَ أن جَلَبَ صوتُه البَسْمَةَ إلى وَجْهِ ماري الحزين.

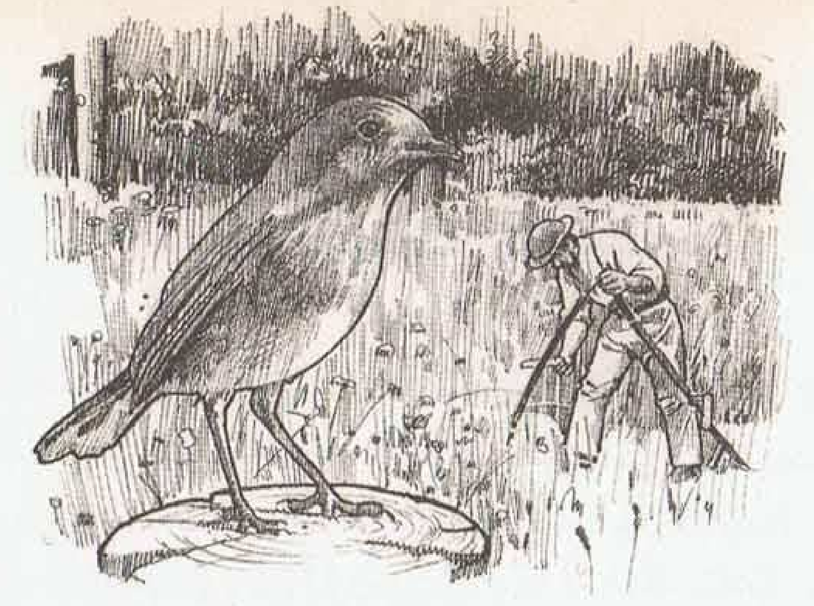
عَادَت ماري أَدْراجَها إلى أولى حدائِقِ المطبخ، وفي الطَّريق رَأَتْ رَجُلاً يَحْفِرُ الأَرْضَ بِفَأْسِهِ. لَم يَلْحَظِ الرَّجُلُ وُجودَها، فَخاطَبَتْهُ ماري: "رَأَيْتُ حَدِيقَةً صَغِيرَةً في البُسْتانِ لا بَاب لَها... وَرَأَيْتُ عُصْفوراً جَميلاً أحمر الصَّدْرِ يغرِّدُ لي."

نَظَر إِلَيْها الرَّجُل مُبْتَسِماً وَتَلَفَّت حَوْله مُطْلِقاً صَفيراً ناعماً. وفي لَحظاتٍ قَلِيلَة رَأَتْ ماري العُصْفورَ الجميلَ يَسْتَقِرّ عَلى الأَرْضِ بِجانِبِ البستانيّ.

دُهِشَت ماري وَسَأَلَتِ الرَّجُل: "هَل يَأْتي دَائماً عِنْدما تناديه؟".

أَجابَها الرَّجُل: "أَجَل، فَهَذا النَّوْعُ مِن الحَسَاسين يَأْلَفُنا نَحْنُ البَشَر. وهو يَعيشُ في تلك الحديقَةِ المُقْفَلَةِ خلفَ الجدار. وَأَعْتَقِدُ أَنَّه وَحيدٌ تماماً هُناك".

قَالَت ماري وَكَأَنَّها تُخاطِبُ نَفْسها: "أنا وَحِيدَةٌ أَيْضاً، ولا أَصْدِقاءَ لي". فلم تكنْ تعرفُ أَنَّ هَذا الأَمْر هو أَحَد الأَسْبابِ الذي جَعلها حَزِينَةً حَادَّةَ الطِّباعِ طوال الوَقْت.



قالَ لَها الرَّجُل: "إذاً. إنَّك مِثْلي تماماً. وَعَلى ما يَبْدو أَنَّ كِلانا حادُّ الطِّباع."

وَمُنْذ ذَلِك اليَوْم كانت ماري تَذْهَبُ إلى الحدائِقِ الخَلْفِيَّةِ كُلَّ يوم تقريباً وكان للهواءِ المنعشِ القادمِ من المستنقعِ أثرٌ كبيرٌ على ماري. وكانت تشعرُ بالجوعِ عندما تجلِسُ للأكل عند المساء. وقد اعتادَت على صَوْتِ الرِّياحِ التي كانت تَعْصِفُ وَتصْفِرُ حَوْل المنْزل.

وَفي أَحَد الأَيَّام، وَفيما كانت ماري تَتَناوَلُ طعَامَها مع مارتا سمِعَت صَوْتاً غريباً. فسأَلَتها:

"هَل تَسْمَعينَ بُكاءَ طِفْلٍ صَغير؟"

أجابت مارتا بارْتِباك: "لا، إنَّه صَوْتُ الرِّيح."

قَالَت ماري: "وَلَكِن اسمعي جيِّداً الصَّوْتُ صادِرٌ مِن داخِلِ المنْزل!"

وَفيما هي تَتَحَدَّث، عَصَفَتِ الرِّيح وَدَفَعَتِ الباب فانفتح وَانْطَفَأَت الشمعة. ثم امْتَلأَتِ الغُرْفَةُ بِصَوْتِ البُكاء.

هَتَفَت ماري: "أَرَأَيْت، هناك! قُلْتُ لَك إنَّ هُناك شَخْصٌ يَبْكي. وَهُو بُكاءُ طِفْلٍ صَغير!"

الفصل الثالث

الحَديقَةُ السرِّيّة

ظلّتِ السَّماءُ تُمطِرُ مدَّةَ يَومَيْن مُتَتالِيَيْن، ثمّ اختَفَتِ الغيومُ تدريجيًا. لَم تُشاهِدْ ماري سَماءً بِهذِه الزُّرْقَة مِن قبْل. ففي الهند حيث كانَت تَعيشُ، كانَت السَّماءُ دَوْماً لاهِبَةً حارِقة، أمّا هُنا فالسَّماءُ صافِيَةٌ زَرْقاء كَمِياهِ بُحَيْرَةٍ عَذْبَةٍ رائِعَة.

أخَذَت مارتا يَومَ عُطْلَةٍ لِزيارَةِ العائِلَة والأقْرِباء. شَعَرت ماري بالوَحْدَةِ مِن دونِها، فَخَرجَتْ إلى الحَديقة. وكانت أشعةُ الشمس تجعلُ المكانَ يبدو مختلفاً عن ذي قبل، والسماءُ الزرقاءُ العالية تغطي القصرَ الصغيرَ والمستنقعَ معاً وقد أثّر هذا التبدّل في الطقس بالبستانيّ بنْ الذّي بادَرها بالقَوْل: "الرَّبيعُ آتٍ!" ثم أضاف "هل تَستَطيعين شمّ رائِحته؟"

أَجابَت ماري وَهِي تَتَنَشَّقُ الهواءَ: "أشُمُّ رائِحَةً عطِرَةً نَضِرَة، مُشْبَعَةً بِرائِحَةِ الرُطوبَة."

قال لَها البُسْتانِيّ: "إنّها أرضٌ خَيِّرَةٌ مِعطاءَة. سوف تَنْتَشِرُ عمّا قريب أزهارُ الزعفران والنرجس البرّي". حطَّ الحسّونُ الجَميلُ عَلى الأَرْضِ بِجانِبِ ماري وأخذ ينظُرُ إليها خلسة.

قالَ لَها البُسْتانِيّ: "إنه يطلبُ صداقَتَكِ". نَظرَت ماري إلى العُصْفورِ وَراحت تُفكِّر. لقد بَدَأتْ تُحِب هذِه الحَديقة، وَهذا العُصفور، والبُسْتانِيّ بِنْ، ومارتا، وَكذلِك عائِلَة مارتا مَعَ أنَّها لم تُقابِلْ أحَداً مِنْهُم بعْد. ويَبْدو أنَّ هُناك العَديدُ مِنَ الأَشْخاصِ الطَّيِّبين حَوْلنا لكي

نُحِبَّهم طالما لم نَعتَدْ على حبِّ أحَدٍ من قبل.

نَظَرَتْ ماري إلى العُصْفورِ الذي طارَ في الجوّ مُبْتَعِداً نَحْو الحديقة المُقْفَلَة. وسمِعَتْهُ يغرِّدُ ثم يَحُطُّ على حافةِ حفرةٍ بحثاً عن بعض الديدان. وَفي أَثْناءِ ذَلِك، لَمَعَ شَيْءٌ ما مطمورٌ في الأَرْض. فحدَّقَتْ ماري في الأَرْضِ وكان هذا الشيء يَبْدو وكأنه مَصْنوعٌ مِن النُّحاس. انْحنَت ماري لالتقاطِه، فتبيَّنَ لها أنه مفتاحٌ قديم. وَراحت تُحدِّثُ نَفْسها:

"ربما كان مَدْفوناً هنا مُنْذ عَشْرةِ أعْوام. رُبَّما كان المِفْتاح الخاصّ بحديقة السَّيِّدَة كرافن! سَوف أبْحَثُ عَن البابِ".

ولكنَّها لَم تتمكّن من إيجادِه. وعبثاً أمعنتِ النظر، إلا أنها لم تعثُرْ إلاّ على النباتِ المتسلِّق يغطي الجدار. أخيراً وَضعَتِ المِفْتاحَ في جَيْبِها وَدخلَت إلى المنْزل. وكانت مارتا قد عادت وأَحْضرت مَعَها هَدِيَّةً لِماري. وكانت عبارةً عن حبْلٍ للقفْزِ ذي قبضةٍ زرقاء. نَظرت ماري إلى الحبل بِتَعجُّب وقالت:

"لماذا هذا الحبْل؟"

قالَت مارتا: "لماذا؟ أَلَم تُشاهِدي حبْلاً للقفْزِ مِن قبل؟ راقِبيني جيِّداً!"

وَقفَت مارتا في وَسطِ الغُرْفَة وَراحتْ تَقْفِزُ باسْتِخْدامِ الحبْل... ثُمّ أَعْطَتِ الحبْلَ لماري.

قالت مارتا: "يَنْبَغي أنْ تَتَدرَّبي علَيْه حتّى تُقَوّي ذِراعَيْكِ وسَاقَيْك."

ارْتدَت ماري مِعْطَفَها وَاستَعدَّت للخُروج، ثُمّ نظَرَت إلى مارتا وَقالَت لها: "لقد أنْفقْتِ قِسماً من أُجرَتِك لِشراءِ هذا الحبْل لي. شُكْراً لكِ."



وَفي الخارِج، كانت ماري تلعبُ بِحبْلِ القَفْزِ في الحَديقَةِ وتأخُذُ قسطاً من الراحةِ كل بضعةِ دقائق، وكان الحسّون الصّغير يتبعها أينما كان. وكانت في كُلّ مرَّة تقفز فيها تشعُر بالمِفْتاح في جيْبِها.

قـالَت مـاري بِصَوْتٍ مَسْموعٍ مُخاطِبَةً الحسّون الصّغير: "لقد سَاعَدْتَني في إيجاد مكان المِفْتاح. الآن أَرْشِدْني إلى بابِ هذه الحديقة".

وكانت ماري تقول إن ما حدث بعد ذلك كان أشبَهُ بالسِحْر. وفيما كانت تتكلّم، هبّتْ نسمةٌ من الريح أبعدتِ النباتَ المتسلق عن الجدار. ثم رأت مقبضَ الباب.

أَخْرجَتِ المِفْتاحَ مِن جَيْبِها ووَضعَتْه في ثَقْبِ البابِ وأدارته، ثُمّ دفَعَتِ البابَ بِحِرْصٍ شديد.

وَجدَت ماري نَفْسَها تَقِفُ في الحَديقَة التّي لطالما أَرادت رُؤْيَتَها، الحَديقَة السريّة!

الفصل الرابع

ماري تُقابِل ديكون

لَم تُشاهِدْ ماري مِن قَبْلُ مكاناً مِثْل هَذِه الحديقة السِرِّيَّة. كانتِ الجُدْرانُ العَالِيَةُ المحيطةُ بها مغطاةً بكتلٍ من الأزهارِ العديمةِ الأوراق، والأَرْضُ مُغطّاةٌ بشُجَيْرات الورد. فقالت في نفسها:

"السُّكونُ يُخَيِّمُ على المَكان، رُبَّما أكون الشَّخْصَ الوَحيدَ الذّي تَحدَّث هنا مُنْذ عشْرِ سَنَواتٍ."

لم تكُن تعلَمُ ما إذا كانت الحديقة ميتةٌ أم مُفْعَمَةٌ بالحياة. ولو كانت لها معرفةُ البُستاني بِن، لعرفَت أنَّ الأزهارَ تكون في سُباتٍ أثناء الشتاء. مَشَت بِبُطْءٍ في الحَديقَةِ، ثُمّ توَقَّفت لتَنْظُرَ إلى البَراعِمِ الصَغيرَة. "رُبَّما تَكون هَذِه الأَزْهار هِي التّي تَحدَّث عَنْها البُسْتانيّ بِنْ. إنَّها ما تزالُ بَراعِمَ صَغيرَة عَلى الرّغْم من أنَّ ما حوْلَها أَصْفرُ ذابلٌ ميّتٌ".

أَمْسكَت ماري بعَصا صَغيرَةٍ وَجدَتها بِجانِبِها وَحفَرت التربةَ حوْلَ البَراعِمِ الصَّغيرَة وقالت: "الآن إنّها تبدو وكأنَّ بإمكانِها أن تتَنفَّس".

في مَساءِ ذلِك اليَوْمِ، جلسَتْ ماري في مقعدِها قربَ النار. وَقالت لمارتا: "أتمَنّى لو أنّ لديَّ مِجْرَفَةً".

ضَحِكَت مارتا وَقالَت لها: "لِماذا تُريدينَ المِجْرَفَة؟"

أَجابَت ماري: "المَكانُ موحِشٌ هُنا. لا يوجدُ أحدٌ أَتحَدَّثُ إليه



باسْتِثْناء البُسْتانِيّ بِنْ وَأَنْت. فكَّرتُ لو أنَّني أَمْلِكُ مِجْرَفَةً لَحفَرْتُ الأَرْضَ وَزَرَعتُ بَعْضَ الزُّهور. أستطيعُ أن أجعلَ مِن تِلْك الأَرْض حَديقَةً صَغيرَة لو حَصَلْتُ على قليلٍ من البُذور."

أشرقَ وَجْهُ مارتا قليلاً وقالت: "ديكون يَذْهَب إلى البلدة كثيراً، وبِإمْكانِه أن يُحْضِرَ لك ما تُريدين."

قالَت ماري: "هُناك بَعْضُ النُّقودِ المُخصَّصَةِ لي أُسْبوعِيّاً سأُنْفِقُ مِنها هل تتكرَّمين بسؤاله؟"

قالَت مارتا: "سَوْف أُخْبِره بما تُريدين، وَسَيُحْضِرها لَكِ."

بَدَأت ماري تُحِبُّ الطَّبيعَةَ في الخارِجِ، وَاعْتادَتْ على الركض بِسُرعةٍ ولمسافةٍ أطول وعلى القَفْز حتّى مِئَة قفزة. وكانت تعمل بِجُهْدٍ في الحديقةِ السريّةِ وتقتلِعُ منها الأَعْشابَ الضّارَّة. وكانَت أَحْياناً تَسْتَريح وَتتأَمَّل كلّ ما هو موجودٌ حَوْلها.

"كَيْف سَيكون شكل هَذِه الحَديقَةِ عِندما تُغَطّيها الورودَ؟" تَساءَلت ماري.

خِلال الأسابيع التّالِيَة، تَوطَّدتْ معرِفةُ ماري بالبُسْتانيّ بِنْ. وكان مهذّباً معها أكثر مما هي مهذَّبة معه. لَم يكُن يتكلَّمُ كَثيراً، ولكنه قال لها ذات يَوْمٍ: "لقد تَحَسَّنَتْ صِحَّتكِ عَن ذي قبْل، فلم تَعودي شاحِبَة!".

قالَت ماري: "نَعم، أَعْلَمُ ذَلِك. ثِيابي أَصْبحَت ضَيِّقَة"، وابْتَسمَت ثُمَّ سَأَلَته:

"سَيِّد بِنْ... إذا كُنْتَ تمْلِكُ حَديقَةً، فماذا كُنْتُ سَتَزْرَعُها؟"

أَجابَها: "وُروداً جُورِيَّةً"، وأضاف "كُنْت بُسْتانِيّاً لحَديقَةِ السَّيِّدة كرافن. كانَت تُحِبُّ الورودَ كَثيراً. شاهَدتُها في كَثيرٍ مِن المرّاتِ تَنْحَني وَتُقَبِّلُها. كان ذَلِك قبْل عَشْرِ سَنَواتٍ".

سَأَلَته ماري: "ماذا حَدَثَ لِلوُرودِ، هَل ماتَت أَيْضاً؟"

قالَ لَها البُسْتانيّ بِنْ: "انْتَظِري الرَّبيعَ يا صَغيرَتي وسَوْف تَرين ماذا سَيَحْدُث". ثُمَّ نَظَرَ إلى وَجْهِ ماري المُتَلَهِّف وَسأَلَها: "لِماذا هذا الاهْتِمامُ الكَبيرُ بِالورود؟"

قالَت لَه ماري: "أُريدُ أن يكونَ لي حَديقَتي الخاصَّة ذات يَوْمٍ".

فيما بَعْد، وَبَيْنَما كانت ماري تَقْفِزُ على الحبْل، سَمِعَت صَوْت عزفٍ موسيقِيّ. تَوَقَّفَت وَنَظَرت حَوْلَها، فإذ بِصَبي يَجْلِسُ أَسْفل شَجَرَةٍ ويَعْزِفُ على النّاي. وكان عَلى ما يَبْدو في الثانية عشرة من عُمرِه، خَدّاه حَمْراوان وَعَيْناهُ زَرْقاوان. لَم تُشاهِدْ ماري عَيْنَيْن بِمِثْل هَذِه الزُّرْقَة مِن قَبْل. وكان يوجدُ بِالقُرْبِ مِنْه أَرْنَبان. تَوَقَّفت ماري



وراحَتْ تُصْغي إلى أن توَقَّف الصَّبيُ عَنِ العَزْفِ. فنظَرَ إليْها وقال:

"أنا ديكون، وأعلم أنكِ الآنِسَة ماري. لقد أَحْضَرْتُ لكِ المِجْرَفة والبُذورَ الّتي طلَبْتِها. أَيْن ستَزْرَعينَها؟"

عقَدت ماري يدَيْها الصَّغيرتَيْن. لَمْ تدْرِ ما تقول، فاحمرّ لونُها ثم شَحبَ وقالَت لديكون: "لا أعلمُ شيئاً عن الفتيان. هل تَحْفَظِ الأَسْرار إذا أَخْبرتُك سِرّاً. إنهُ سِرٌ كبير، إذا علِمَ أَحَدٌ ما به فسأَكونُ في وَرْطَةٍ شديدة."

بدَتِ الحيْرة على مَلامحِ ديكون وَقال: "نعَم، أَحْفَظُ الأَسْرار."

قالَت ماري: "لقد قُمْتُ بسَرقَةِ حَديقة"، ثم انفجرَتْ باكية وأضافَتْ "لا أَحدَ يرْغَبُ فيها، ولا أَحدَ يَهْتمّ بِها، وَما مِن أَحدٍ يَذْهَب إليها".

"أَيْن هِي تِلْك الحدَيقَة؟" سَأَلها ديكون:

قادَتْه ماري إلى الحَديقةِ السرِّيَة، وأَخْرجَتِ المِفْتاح مِن جَيْبها وَفتَحتِ البَاب.

تلَفَّتَ ديكون حَوْله ثُمّ همَس: "لَم أَتَصوَّر يَوْماً بِأنَّني سَأُشاهِد الحَديقَةَ السرِّيَّة."

سَأَلتْه ماري بدهشةٍ: "إذاً أَنْت تَعْرِف قِصَّة هَذِه الحَديقة؟"

قالَ ديكون: "أجل، لقد أطلعتني ماري على سِرِّها."

قالَت ماري: "هل ستكون هُناك وُرودٌ؟"

أَخرَجَ ديكون سِكّينَه، وَشَقَّ أَحد الأَغْصان ثمّ قال: "سَيكون هُناك الكَثير مِنْها، فما زالَتِ الأَغصانُ خَضْراء."

بَعْد ذَلِك، تَجوَّلَ ديكون مَع ماري في الحديقَةِ منتقلين من شَجرَةٍ

إلى شجرة، ومن شُجَيْرة إلى أخرى. وَكان ديكون كُلَّما رَأى أَعْشاباً ضارَّة أو جُذوعاً مَيِّتَة أزالَها، حتّى وَصَل إلى فسحةٍ نَظيفَةٍ تنمو فيها بعض البصلات. فسَأَلَ ماري مذهولاً:

"مَن رَتَّبَ هَذِه الفسحة؟"

أجابَت ماري: "أَنا قُمْت بذَلِك."

ضَحِك ديكون وَقال: "إنّه عَمَلٌ شاقٌ بالنِّسْبَة لفَتاةٍ صَغيرَةٍ مِثْلك."

قالت ماري: "إنّ صِحَّتي في تَحَسُّن. إنَّني أكبرُ يَوْماً بَعْد يَوْم وَأَزْدادُ قُوَّة. كُنْتُ دائِماً أَشْعُر بالتَّعَبِ طَوال الوَقْت. أما الآن، فعندما أحفُر لا أَشْعُر بالتَّعَبِ إطْلاقاً."

قالَ ديكون: "ما زالَ هُناك الكَثير للقيامِ به."

قالَت ماري: "هل تُساعِدُني في ذَلِك؟"

أجابَ ديكون: "سَوْف أُساعِدك. سآتي كُلَّ يَوْمٍ إذا أردتِ، سواء كان الطقسُ ماطِراً أو صحواً".

شعَرَت ماري أنه مهما عاشَتْ، فلن تنسى ذلك الصباح الذي بدأت حديقتها فيه تنمو. وفي أَحَد الأَيّام، وَبَيْنَما كان ديكون يُساعِدُ ماري. نَظَرَت إليه وقالَت لَهُ:

"ديكون إنَّك لَطيفٌ كما قالت لي مارتا. إنك الشخصُ الخامسُ الذي أحببتُه بعد مارتا وأمك والبستانيّ بن... والحسون".

ضَحِكَ ديكون ضحكةً عالية وَقال: "إنك أغربُ فتاةٍ رأيتها."

الفصل الخامس

اِبْن العَمّ كولن

بَعْد تَناوُلِ وَجْبَةَ الغداء، كانتْ ماري تُسْرِعُ إلى الحَديقَةِ السريّةِ عِنْدَما أَوْقَفَتْها مارتا قائلة:

"يَجِبُ أَنْ أُخْبِرَكِ شيئاً. إنَّ عَمَّكِ سيعودُ هذا الصباح، وَأَعْتَقِدُ أَنَّه يَوَدُّ رُؤْيَتَكِ قَبْلَ أَنْ يَرْحل ثانِيَة."

شَحَبَتْ ماري وقالت: "متى تَعْتَقِدين أنه يَوَدُّ رُؤْيَتي؟"

وفيما كانت ماري تَتَحَدَّث، فُتِحَ البابُ وَدَخَلَتِ السَّيِّدَة مِدْلوك. وكانَت تَرْتَدي أَثْمَن فُسْتانٍ لَدَيْها وَقد رَتَّبَتْ هِنْدامَها بِشَكْلٍ واضِحٍ. وقالَت لماري:

"اذْهَبي وَسَرِّحي شَعْرك".

ثُمّ توجَّهت إلى مارتا قائلة: "مارتا ساعِديها عَلى ارْتِداء أَفْضَل ثوب. فالسَّيِّد كرافن يودّ رُؤْيَتَها في مكْتَبِه."

تَسارَعَتْ دَقّاتُ قَلْبِ ماري وَشَعَرَتْ أَنَّها عادَتْ من جديدٍ تلك الطِّفْلَةَ الحادَّةَ الطِّباعِ، وقالت في نفسها. "لَن يُحِبَّني عَمّي، ولَن أُحِبه بالمُقابِل."

ثم قادَتها السَّيِّدَةُ مِدْلوك إلى غرفةٍ في المَنْزِل لَم يَسْبِقْ لها أن شاهَدَتها من قبل.. نَظَرَتْ ماري فإذ برجُلٍ يَجْلِس بجانِبِ النّار.

"هَذِه الآنسةُ ماري يا سَيِّد كرافن،" قالتِ السَّيِّدَة مِدْلوك وخرجَت وأَغْلَقَتِ البابَ وراءها.

وَقفت ماري صامِتَة تفْرُكُ يَدَيْها الصَّغيرتَيْن معاً مِن خَلْفِ ظهْرِها.

"اقْترِبي!" قالَ العَمّ كرافن.

اقْترَبتْ ماري منه وَنظَرت إليْه. لم يكُن قَبيحاً. وقد يَبْدو وَسيماً لولا الحزن الذي يَعْلوه.

قالَ لها: "إنكِ نَحيلَةٌ للغايَة."

أجابت ماري: "إنَّني أَزْدادُ وَزْناً يوماً بعد يوم."

"وَددتُ إرْسالَ مُرَبِّيَةٍ لتَعْتني بِك، لكِنّي نَسيْتُ تماماً." قالَ العَمّ كرافن.

هَتفت ماري: "أَرْجوك... أنا... أنا لَسْت بِحاجَةٍ إلى مُرَبِّيَة. أُريدُ أن أَلْعبَ في الخارِج. أعْتقِد أنّ هذا يَزيدُني قوَّةً."

قالَ لها العَمّ كرافن بِلُطْفٍ: "يُمْكِنُك أن تفعلي ما يَحْلو لَك. لا تَخافي. أَتمنّى لك السَّعادَة، رُغْمَ أَنّي لَسْت بحيث أَتمكّن من منحِك الوَقتَ أو الاهْتِمامَ الكافِيين. هل تُريدين أيّ شَيْءٍ؟ أَلعاباً أو كُتُباً؟"

سَأَلت ماري: "هَل أَسْتطيعُ الحُصول عَلى قِطْعَةٍ من الحديقةِ لكي أَبذُرها وأَزرعَ فيها بعضَ النباتات"؟.

قالَ لَها العَمّ كرافن: "إنّك تُذكّرينَني بامرأةٍ أخرى أَحبَّتِ الأَرْضَ وَأَحبَّتِ الزِّراعَة. يُمْكِنُك أن تأخُذي ما تُريدين."

سَأَلَتْ ماري: "هَل يُمْكِنني أَخْذ قِطْعَة الأَرْضِ مِن أيّ مكانٍ؟"

أجابَها العَمّ كرافن: "أَجل، مِن أيّ مكان. وَالآن اذْهبي يا صَغيرتي. أَشْعُر بالتَّعَبِ. إلى اللقاءِ. سأَتغيَّبُ طيلةَ فصلِ الصيف."

ذلِك المَساء، استيقظَتْ ماري على صَوْتِ المطَرِ، وأَحسّت فجأةً

بصوتٍ آخر جَعَلَها تجْلِسُ في سَريرِها، فأنصتت.

هتَفت ماري: "إنه لَيْس صَوْتَ الريح. إنَّه البُكاءُ الذّي سَمِعته سابقاً. يَنْبَغي أن أعرِفَ مصدرَه."

قامَت ماري مِن سَريرِها وأخذَتْ شمعةً وخرجَتْ إلى البَهْوِ، وأخذت تتبعُ صَوْتَ البُكاءِ حتّى وَصلَت إلى إحدى الغُرَفِ. وكان الضَّوْءُ ظاهِراً مِن أَسْفلِ البابِ. دَفَعت ماري البابَ وَدَخلَت.

رأت صَبيّاً يَجْلِس على سَريرٍ. كان وَجْهُهُ صَغيراً وَعَيْناه كبيرَتين، وشَعْرُهُ كَثيفاً يُغطّي جَبْهَتَه. تقدمَتْ ماري في الغرفةِ بهدوءٍ فسَأَلها الصَّبي بخَوْفٍ:

"مَن أَنْت؟ هَل أَنْت شَبَحٌ؟"

أَجابَت ماري: "لا، لَسْتُ شَبَحاً. وأَنْتَ؟"

قالَ الصَّبي: "لا لَسْتُ شَبَحاً. أَنا كولِنْ، كولِنْ كرافن، ابنُ صاحِبِ هَذا المنْزِل."

قالَت ماري: "أَنا ماري. صَاحِبُ المنْزِلِ هو عَمِّي،" ثُمَّ هَتَفت: "ماذا؟ أَنْت قَريبي! أَنْت ابْنُ عَمِّي! لماذا لَم يُخْبِرْني أَحدٌ بِذلِك مِن قَبْل؟"

قالَ كولِنْ شارِحاً: "أنا دائماً مَريضٌ، وَيَعْتَقِد وَالِدي أَنَّني سَأُصْبِحُ مِثْلَه أَحْدَبَ الظَّهْر. وَلكِنَّني لَن أَعيشَ طَويلاً. قَلّما يأتي وَالدي لِزِيارَتي. لقد تُوفِّيَت وَالِدَتي بَعْدَ وِلادَتي بِقَليل. ورؤيَتي تَجْعَلُه حزيناً لأَنَّه يَتذكَّر وَالِدَتي. إنَّه يكْرَهُني تقريباً!"

قالَت ماري وَكأَنَّها تُخاطِبُ نَفْسَها: "إنَّه يكْرَهُ الحَديقَةَ لأَنَّها ماتَت هُناك".

سَألَها كولِن: "أيَّة حَديقة؟"

أجابَت ماري بِعَصَبيَّةٍ: "الحَديقةُ التي يكرهُها السيد كرافن. لقد أَغْلَقَ وَالِدك بابها ورَمى المِفْتاحَ. ولا أَحد يَعْلم أَيْن هُوَ هذا المِفْتاح. هل تُريدُ أن تعيش"؟ قالت محاولةً تغييرَ الموضوع.

أجـابَ كـولِـنْ: "لا أُريـد أَنْ أَمـوت. حـدّثـيـنـي عَـن الحَديـقـةِ. أُريد الذَّهـاب إليها هُناك. سَأَطلبُ منهم أن يأْخُذوني إليْها."

عَقَدَت ماري يَدَيْها. لِماذا تَحدَّثَت عَن الحَديقةِ السريّة؟ لَن تَعودَ الأُمور كَـسابِـقِ عَـهْـدِهـا. سَـيَـتَـدمَّر كُلّ مَا بَـنَـتْـه. لَـن يَـأتـي ديكون لمُساعَدَتِها بَعْد الآن. وَالحَديقَة السرِّية لن تعود سِرِّيَّة بَعْد الآن.

هَتَفت ماري بِحرْقَة:

"لا، لا تَجْعَلهم يأْخُذونَك إلى هُناك. إذا فَعَلْت ذَلِك، فَلَن تَعودَ هَذِه الحَديقة سِرِّيَّة!"

قالَ كولِنْ: "سِرِّيَّة؟ ماذا تَقصُدين؟"

قالَت ماري: "كَما ترى، إذا لم يعلمْ أحدٌ سوانا بأن هذه الحَديقة سِرِّيَّة وأننا نستطيعُ الدخولَ إليها، ألا يَبْدو ذَلِك مُشوِّقاً؟"

ثم أَكْمَلَت: "سَآخُذك إلى هُناك. سَأَدْفع كُرْسيَّك المُتحَرِّك ونَذْهَبُ بمفردِنا. وسَتبْقَى هَذِه الحَديقَة حديقتَنا السِرِّيَّة."

قالَ كولِنْ: "حَسَناً. أُحِبّ ذَلِك."

عادَ الشُّعورُ بِالطُمأْنينَةِ يَمْلأُ قَلْبَ ماري لأَنَّ فِكْرَةَ إبْقاءِ الأمْرِ سِرّاً راقَتْ لابْن عَمِّها كولِنْ، وكانت سعيدةً بِذَلِك.



الفصل السادس

العِراك

في الصَّباحِ، كانَ الضَّبابُ يُغطّي المستنقعَ وَالمطرُ لا يزال يسقطُ.

كانَت ماري تَجْلِسُ في المَطْبَخِ تُحادِثُ مارتا، فقالَت لها: "لقَدَ عَلِمْتُ مصدرَ صَوْتِ البُكاء، إنَّه كولِنْ، وقَد وجدته."

بَدَتْ مَلامِحُ الخَوْفِ على وَجْه مارتا، وَقالَت لماري: "آه آنِسَة ماري، سَوْف تَجْلبينَ المَتاعِبَ لي."

قالَت ماري: "يُريدُني كولِنْ أنْ أزورَهُ يَوْمِيّاً لنَتَحادَث، وَعلَيْك أن تُخْبِريني مَتى يَوَدُّ رُؤْيَتي."

هَتَفَت مارتا: "أنا؟!... لا... سَأَفْقِدُ وَظيفَتي."

قالَت ماري: "لا، لَن تَفْقدي وَظيفَتَك إذا فَعَلْتِ ما يُريد. يَجِبُ عَلَيْكُم هُنا الامتثالُ لرغَباتِ كولِنْ، وَأعْتَقِد أنَّه طِفْلٌ مُدَلَّلٌ."

قالَت مارتا: "إنَّه مَريضٌ مِنْذ زَمَنٍ بَعيدٍ. يَخْشَى وَالِدُهُ أن يُصبحَ مثلَه أَحْدَبَ الظَّهْر. وَلكِن لا أثَر لذَلِك حَتّى الآن."

حَدَّقَتْ ماري في النّارِ المُشْتَعِلَةِ في المِدْفَأَةِ ثُمَّ قالَت: "أتَساءَلُ إنْ كان من المفيدِ لكولِن الخُروجَ مِن المَنْزِلِ إلى الحَدائِقِ لمُشاهَدَةِ النَّباتات تَنْمو. أَعْلَم أنَّ هَذا أفادَني."

قالَت مارتا: "لقد أَخَذْناه مَرَّة لمُشاهَدَةِ الورود، وَلكِنَّه خَشِيَ مِن أن تُسَبِّبَ له رائِحَتُها العُطاسَ. وقد بكَى ذاك اليَوْم طوال اللَّيْل."

بَعْد ذَلِك الحَديث بِفَتْرَةٍ قليلَةٍ، سَمِعَ صوتُ الجَرَس فسارعَتْ مارتا

إلى كولِن، ثم عادت بعد عشرِ دقائق وَعلى وَجْهِها عَلامات الدَّهْشَة: "كولِنْ لَيْس عَلى سَريرِه، بَل في كُرْسيهِ المُتَحَرِّك يَقْرَأ. إنه يُريدُك أن تَذْهَبي إلَيْه."

ذَهَبَت ماري إلَيْه وَظلاّ يَتَحادَثانِ طَويلاً. تحدَّثا عن كُلِّ شَيْءٍ: عن ديكون، وعن المستنقَعِ والمَنْزِلِ والحَدائِق وعن الهند. لم يَشْعُرا بالوَقْتِ يَمُرّ فقد قَضَيا أَوْقاتاً مُمْتِعَةً. وقد ضَحِكا طويلاً عِنْدما تَكَلَّما عَن البُسْتانِيِّ بِنْ وَعُصْفورِهِ الجميل. وَفَجْأة، دَخَلَتِ السَّيِّدَة مِدْلوك وَبِصُحْبَتِها عَلى ما يَبْدو طَبيب كولِنْ. فَسَأَلَ الطَّبيبُ بِغَضَبٍ: "ماذا يَحْدُث هُنا؟"

قالَ كولِن بِثِقَةٍ: "إنَّها ابْنَة عَمّي، ماري. لقَد طَلَبْتُ مِنْها أنْ تَأْتي وَتَتَحَدَّث إليَّ. وَسَتَأْتي كُلَّما أرسلتُ بطلَبِها. لقَد سَمِعَتْني أَبْكي في اللَّيْل، فَأَتَت. لا ذَنْبَ لها أو لأَحدٍ آخَر."

قالَ الطَّبيبُ: "الابْتِهاجُ الزّائِدُ مُضِرٌّ بك يا عَزيزي."

قالَ كولِنْ: "أنا بِخَيْر، ماري تُساعِدُني على أنْ أكونَ بِخَيْر."

في اليَوْمِ التّالي، كانَ الجَوُّ صَحْواً والسماءُ زرقاءَ صافِيَة... اسْتَيْقَظَت ماري مِن نَوْمِها باكِراً ثُمَّ مَدَّتْ يَدَها مِن النّافِذَةِ وَقالَت: "الطَّقْس دافِئٌ في الخارِج" "سَيَجْعَل ذَلِك البَراعِمَ الصَّغيرَة الخَضْراء تَكْبر. لا أَسْتَطيعُ الانْتِظار سَأَذْهَبُ لرُؤْيَةِ الحَديقَةِ السريَّة الآن!"

ارْتَدَت ماري مَلابِسَها بِسُرْعَةٍ وَخَرَجَت مِن المَنْزِلِ صَوْبَ الحَدائِق. وَما إنْ وَصَلَت إلى بابِ الحَديقَةِ حَتّى سَمِعَت صَوْتاً – أخافَها. نَظَرَت إلى أعلى الجدار فَرَأَت غُراباً كَبيراً يَقِفُ عَلى أحَد جُذوعِ شَجَرَة التُّفّاح. وفي أَسْفَلِ الشَّجَرَة كان يوجَد حَيَوانٌ صغير

أحمر اللون يُشْبِه الثَّعْلَب. نَظَرَت بِالقُرْبِ من الشَّجَرَةِ فرأتْ ديكون يُمْسِكُ بالمِجْرَفَةِ مُحاوِلاً تَنْظيفَ الأَرْضِ وإزالَةِ النَّباتاتِ الضّارّة. فقال لها: "هذا ثعلبي الصغير، وهذا الطيرُ الكبير هو غراب".

نَظَرَت ماري إليْه ثُمّ قالَت: "أووه، أنا سَعيدَةٌ للغايَة."

ثم أخذا يركضانِ في الحَديقَةِ ويلعبانِ سَوِيَّة محاولين أن يُبْقيا أصواتهما منخفضة. وكان الحسّون يطيرُ عبرَ الجدارِ حامِلاً قليلاً من القشّ لعشّه.

نَظَرَت ماري إلى ديكون وَسأَلَتْه: "ماذا تَعْرِف عَن كولِن؟"

أجابَ ديكون: "السَّيِّدَة مِدْلوك تَزورُنا دائماً عِنْدَما تكون في طَريقِها إلى المدينَة لشِراءِ الحاجيات. إنّها تُخْبِرُنا بِكُلِّ شَيْءٍ عَنه. إنَّها تَثِقُ بِنا."

أَخْبَرَته ماري عَن ذَهابِها إلى غُرْفَة كولِنْ في اللَّيْل، ثُمّ سَأَلَتْه: "هَل تَظُنّ أنّه يُريدُ المَوْتَ فِعْلاً؟"

أَجابَ ديكون: "لا، وَلَكِنَّني أَعْتَقِد أَنَّه يَتَمَنّى لو أنّه لم يُولَد. كان لوالدتِهِ المِسْكينَة أرجوحةٌ على تلكَ الشجرة هناك. انْكَسَرَ الغُصْنُ فوقعت. كولِنْ يَمْلِك عَيْني وَالِدَته، وَلِهذا السَّبَب لا يَسْتَطيعُ السَّيِّد كرافن النَّظر إليْه، فَهُوَ يَتَذَكّر زَوْجَته الجميلَة."

قالَت ماري: "يَعْتَقِد كولِنْ أنّه سَيُصْبِحُ أَحْدَبَ الظَّهْرِ كوالِدِهِ."

قالَ ديكون: "ماذا لَوْ أَحْضَرْناه إلى هُنا في الخارِجِ؟ ما مِن صَبِيّ تَتَحَسَّن صِحَّته إذا بَقِي في السَّريرِ يفكّر بالمَوْت."

أوْمَأَت ماري بِرَأْسِها موافقة.

مَرّ الوَقْتُ بعد الظهر بِسُرْعَةٍ. وَلَم يَنْتَبِه ديكون وماري لِذلِك إلاّ



عِنْدَما مَالَت الشَّمْسُ للمَغيب. لقد قاما بِتَنْظيفِ الحَديقَةِ كُلِّها تَقْريباً، وَزرَعا البُذورَ والنَّباتاتَ. ثم غادَرا الحَديقَة وهُما راضِيان تَماماً. دَخَلَت ماري إلى المَنْزِل وعِنْدَما رأَتْها مارثا تَنَفَّسَتِ الصُّعَداء. وقالت لها: "أصيب السَّيِّد كولِنْ بنوبَةِ غضبٍ طوالَ اليوم، وكان يُراقِبُ السَّاعَة دوماً".

ذَهبَت ماري إلى كولِنْ في غُرْفَتِهِ. وَعِنْد رُؤْيَتها صَرخَ بِصَوْتٍ آمِرٍ: "لِماذا لم تَأْتي لِزيارَتي اليَوْم؟"

أَجابَت ماري: "كُنْت أَعْمَلُ طَوال اليَوْم في الحَديقَةِ السريّة مَعَ ديكون."

قالَ كولِن بِغَضَبٍ: "إذا بَقيت مَعَه طَويلاً مُجَدَّداً، لَن أَسْمَح لَه بِالحُضورِ إلى المَنْزِل."

صَرَخَت ماري: "إذا مَنَعْتَ ديكون مِن المَجيءِ. لَن آتيَ لِرُؤْيَتِك مُجَدَّداً."

هَتَفَ كولِن بِغَضَبٍ: "سَأُجْبِرُك عَلى فِعْلِ ذَلِك!"

وَحَدَّقا بِبَعْضِهِما البَعْض.

قالَ كولِن: "إنَّكِ مَخْلوقَةٌ أنانِيَّةٌ!"

أَجابَت ماري: "إنَّكَ أَكْثَر أنانِيَّةً مِنِّي!"

قالَ كولِن: "لا، لَسْتُ كَذَلِك. أَنا مَريضٌ. وَهُناك حَدَبَة سَتُصيبُ ظَهْري. سَأَموت عمّا قريب!"

صَرَخَت ماري: "إنَّك تقولُ ذَلِك فَقَط لِتَجْعَلَ الأَشْخاصَ مِن حَوْلِك يَشْعرون بِالأَسى نَحْوَك." ثم غادَرَتِ الغُرْفَة.

في مُنْتَصَفِ اللَّيْل عَمَّ صَوْتٌ قَوِيّ المَكانَ، اسْتَيْقَظَت عَلى أَثَرِه ماري مِن نَوْمِها. إنَّه كولِنْ يَصْرُخ وَيَبْكي. هُرِعَت ماري إلى غُرْفَتِه.

قالَت ماري بِغَضَبٍ: "تَوَقَّفْ عَن ذَلِك، تَوَقَّف! أَكْرَهُك! الجَميع هُنا يَشْعُرونَ بِالكَراهِيَةِ نَحْوك! وَأَتَمَنّى أَن يَتْرُكَكَ الجَميعُ تَصْرُخ وَتَصْرُخ. إذا صَرَخْت ثانِيَة، سَأَصْرُخُ أنا أَيْضاً. وَسَأَصْرُخ بِصَوْتٍ أَعْلى مِن صَوْتِك."

تَفاجَأ كولِنْ فَتَوَقَّفَ عَن الصُّراخ وَأَخذ يَجْهَشُ بِالبُكاءِ:

"أَشْعُر بِالحَدَبَة في ظَهري... أَشْعُر بِها!"

نَظَرت ماري إلى ظَهْرِهِ النَّحيل وَهَتَفت: "لا يوجَدُ شَيْءٌ في ظَهْرِك، لا توجَد حَدَبَة! لا يوجَد شَيْء سِوى عِظامِكَ الظّاهِرَة، وَذَلِك لأنَّك نَحيلٌ جداً."

"هَل... هَل دَخَلْتِ إلى الحَديقَةِ السِّرية مِن جَديد؟" سَأَلَها كولِنْ مُحاوِلاً عَدمَ البُكاء مِن جَديد.

نَظَرت ماري إلى وَجْهِهِ المُتْعَبِ الصَّغيرِ وشَعَرَتْ بِالأَسى نَحْوه وَقالَت: "نَعم، نَعم."

قالَ كولِنْ: "أوه، ماري. اعتقدُ أنّي إذا اسْتَطَعْتُ الذَّهاب إلَيْها فَسَأَعيشُ كثيراً لأكبر. أَخْبِريني عَنْها. أَخْبِريني حَتّى أَغْفو."

بَدَأَت ماري حِكايَتَها: "الوِرودُ سَتَكْبُر وَستَكْبُر، وَالنَّباتات سَتَنْمو وَستَتَمَدَّد لِتُشَكِّلَ خُطوطاً رائِعَةً. الحَديقَةُ لَوْحَةٌ مُلَوَّنَةٌ بِالأَزْهارِ الجَميلَةِ. تَنْتَشِرُ الزُّهورُ في كُلِّ مَكانٍ مِنْها. الآن بَدَأَتْ تَخْرُج مِن حَيائِها. وَبَدَأ اللَّوْنُ الأَخْضَر يَطْغى. الطُّيورُ بَدَأَتْ تَأْتي لِتَسْكُن بِها. تَسودُها السَّكينَةُ وَالسَّلام، وَتَجِدُ الطُّيورُ مَلاذاً لَها هُناك. هُناك في تِلْك الحَديقَة السريَّة..."

ثمَّ نَظَرت ماري إلى كولِنْ فَرأَته يَغُطُّ في نَوْمٍ عَميق.

الفصل السابع

"سَأعيش للأبَد... للأبَد!"

في صباحِ اليَوْمِ التّالي، استيقظَتْ ماري متأخِّرةً من شدّةِ تعبِها، ثم ذهَبَت إلى الحَديقَةِ فوجدَتْ أن ديكون قد أتى إليها على مُهرِهِ وأحضرَ معه سنجابَيْن. كما أن الثعلبَ والغرابَ لحقا به أيضاً.

وكانت قد أخبرت كولِنْ ذاك المساء قائلة: "ديكون يَعرفُ كُلَّ طائرٍ وَحيَوانٍ في هَذِهِ المِنْطَقَةِ."

قالَ كولِنْ: "أتَعْلَمين يا ماري، أوَدُّ رُؤْيَةَ ديكون."

قالَت ماري مُبْتَسِمَةً: "إني مسرورةٌ لأنك قلت ذلك الآن... لأن..."

"لسبب ماذا؟" سألها كولن.

أمسكَتْ ماري بيديه وقالت: "هل أستطيعُ أن أثقَ بك. لقد وثقت بديكون لأنَّ حيواناته وطيوره تثقُ به. هل أستطيع أن أثقَ بك بالتأكيد؟"

"أجل"، أجابها كولن.

هَمَسَ كولِنْ: "هَل سَأعيش لِرُؤْيَتِها؟"

قالَت ماري: "بِالطَّبْعِ سَتَعيش. لا تكُن سَخيفاً."

ضَحِكَ كولِنْ. وجلستْ ماري على كرسيٍّ بالقربِ من كولن وراحت تُحَدِّثُه عَن الحَديقَةِ السريّةِ.

قالَ كولِنْ: "هَل دَخَلْتِ حَقّاً إلى الحَديقَةِ السريةِ؟ هَل رَأَيْتِها بِالفِعْلِ؟ أم أنَّك تقولين ذلِك لِتَشْجيعي؟"

تَرَدَّدَت ماري لِلَحْظَة، وأخيراً قالَت: "يا ابْن عَمّي العَزيز. لَقَد رَأَيْتَها بالفِعْلِ. لقد وَجَدْتُ المِفْتاحَ الذي أَلْقى بِهِ والدُك. لم أتَجرَّأْ أَنْ أُخْبِرَ أحداً باسْتِثْنائِكَ أَنْت وَديكون، وَلَمْ أَكُن أَعْلَم إن كُنْت أَسْتَطيعُ الوثوقَ بِكُما."

قالَ كولِنْ: "تَسْتَطيعين ذَلِك،" ثُمَّ ابْتَسَم.

في اليَوْمِ التّالي، جاءَ ديكون لِرُؤْيَةِ كولِنْ وكان يحمِلُ حَمَلاً صغيراً والثعلبُ الأحمرُ يسيرُ إلى جانبه، والغراب والسنجابان يظهران من جيوبه. لم يَسْبِقْ لِكولِنْ أَنْ تَحَدَّثَ مَعَ صَبِيٍّ مِن قَبْل، لِذَلِك لم يكن يَعْلَمُ ماذا يقول. إلاّ أن ديكون بادره الحَديث، ثم أعطاه الحمَل وزجاجةَ الرضاعة. بَعْدَ ذَلِكَ، جلَسوا ثلاثَتَهم وَنظروا إلى كِتابٍ مُخْتَصٍ بِعِلْمِ النَّباتات وَوَجَدوا فيه صورَ النَّباتاتِ التّي زَرَعَها ديكون وماري في الحَديقَةِ السرية.

هَتَفَ كولِنْ: "سَأرى تِلْك النَّباتات وَالأَزْهار."

قالَت ماري مُحاوِلَةً تَقْليد لَهْجَةِ مارتا المحلّية: "نَعَم سَتَراها!"

بَعْد ذَلِك بِبِضْعَةِ أَيّام، أتى الخادِمُ المفْتولُ العَضلاتِ الذي يَعْمَل في المَنْزِل. وَحمَلَ كولِنْ وَنزَلَ بِهِ الدَّرج وَوَضَعَه في كُرْسيهِ المُتَحَرِّك في الطّابقِ السُّفْلِيِّ مِن المَنْزِل. وكان ديكون بانْتِظارِه لِدَفْعِ الكُرْسي. ثم خرج الثلاثة مِن المَنْزِل. كان ديكون يَدْفَعُ كولِنْ وَهُوَ في كُرْسيهِ المُتَحَرِّك، وَماري تَمْشي بِجانِبِهم. رَفَعَ كولن رَأْسه إلى السَّماءِ وَنَظر إلى الغُيوم البَيْضاءِ. وكانَت الرِّياحُ تَهبُّ بِلُطْفٍ. أَكْمَلوا سَيْرَهُم حَتّى وَصَلوا إلى بَابِ الحَديقَةِ السرية.

قالَت ماري: "لَقَد وَصَلْنا... هُنا الحَديقَة السرية."



قالَ كولِنْ: "سأُغْمِضُ عيْنيّ. لن أفْتحْهُما حتّى أصبِح في الدّاخِل."

فتَحت ماري بابَ الحديقةِ ودفعَ ديكون الكُرْسيَّ المُتحرِّك. فتَحَ كولِن عيْنيْه ونظرَ حوْله. كان المنْظرُ رائعاً وكانت الأوراقُ الخضراء تتدلَّى من كافةِ الأمكنة والألْوانُ المُخْتلِفةُ الجميلةُ تزيّن المكان.

هتَفَ كولِنْ: "سأغْدو بِخيْرٍ. ماري! ديكون! سأكون بِخيْرٍ وسأعيشُ للأبدِ، للأبدِ!"

الفصل الثامن

كولِنْ ينتصب واقِفاً!

عمِلت ماري معَ ديكون في الحديقةِ، وظلّ كولِنْ الّذي كان يشْعُرُ بِسعادةٍ لا مثيل لها يُراقِبُهما. ثمّ قال:

"أتساءلُ إنْ كُنْتُ سأتمكّن من رُؤْيةِ ذلِك الطّائِرِ الجميل؟"

قالَ ديكون مُبْتسِماً: "أجل، ستتمكّن من ذلِك بعْد أن يفْقِس البيْض، سوْف ترى ذلِك الطّائرَ الجميل وغيْره، فهُم يعودون لاصْطِياد الدّيدان."

سألَ كولِنْ: "تِلْك الشّجرَة الكبيرةُ هي ميّتة، أليْس كذلِك؟"

أجابَ ديكون: "أجل، ولكِن الورود ستُغطّيها، ولن تظْهر ميّتة بل ستغْدو أجْملَ الأشْجارِ على الإطلاق."

سألَ كولِنْ: "يبدو وكأن الغُصْنَ الكبير مكسور، ترى ما الّذي كسَره؟"

هتفَ ديكون متنهِّداً: "انْظر! هُناك!! لقد جاء الحسّون الجميل!"

نظرَت ماري إلى ديكون وفكّرت في نفْسِها: "إنه أمْرٌ غريبٌ حقّاً مجيءُ ذلك الطّائرِ الجميل في هذا الوقْت لكي يمنَعَ كولِنْ من معرفة سببَ موْتِ والِدته."

ظلَّ الأصْدِقاءُ الثّلاثة في الحديقةِ إلى أن بدأتِ الشّمْسُ بالمغيب. تنهّدَ كولِنْ وقال: "لا أُريد لِهذا اليوْم أنْ ينْتهي، ولكِنّني سأعودُ

غداً. أُريد مُشاهَدَة كلّ شَيْء يَنْمو هُنا. أُريد أَن أَنْمو وَأَكْبُر هُنا، هُنا في هَذا المَكان.”

قالَ ديكون: ”نَعَم، سَوْف تَمْشي، وَسَوْف تُساعِدنا في الحَفْر.”

اضْطَرَبَ كولِنْ، وَقالَ: ”أَمْشي! أَحْفُر! أَنا؟”

لَم يَعْلَم ديكون ما يَقول ولم يتساءلْ هو وماري عمّا إذا كان هناك علّةٌ ما في ساقي كولِن.

قالَ كولِن وَكَأَنَّه يَقْرَأُ أَفْكارهما: ”ما مِن عِلَّةٍ بِساقاي، إِنَّهُما هَزيلَتان وَضَعيفَتان، وَتَرْتَجِفان عِنْدَما أُحاوِل الوُقوفَ.”

فجأة، تَوَقَّفَ كولِن عَن الكَلامِ، وَأَشارَ بِإِصْبَعِهِ متسائلاً: ”مَن هُو هَذا الرَّجُل؟”

صَرَخَت ماري وديكون مَعاً: ”أَيّ رَجُل؟”

وَنَظَرا إلى حَيْث أَشارَ كولِن. كان البُسْتاني بِنْ يُطِلُّ بِرأْسِهِ مِن أَعْلَى جُدْرانِ الحَديقَة. ثم صَرَخَ ملوِّحاً بقبضتِهِ أمام ماري: ”يا لَكِ مِن فَتاةٍ سَيِّئَةٍ! تَتَدَخَّلينَ فيما لا يَعْنيك!”

هَتَفَت ماري: ”لَقَد أَرْشَدَني الطَّائِرُ الجَميلُ إِلى الطريق!”

فجأة شاهَدَ البُسْتاني كولِنْ، فَفَتَحَ فمه مُنْدَهِشاً وتوقّف عن التلويح بقبضته. سَأَلَه كولِنْ: ”أَتَدْري مَن أنا؟”

قالَ البُسْتاني بِنْ: ”أجل، إنك تَمْلِكُ عَيْنَي وَالِدَتك الجَميلَة وَكَأَنَّها هي التي تَنْظُرُ إليّ... إلاّ أَنَّك مُقْعَدٌ!”

اضْطَرَبَ كولِن وَاحْمَرَّ غَضَباً، ثُمَّ نَهَضَ عَن كُرْسيهِ واقِفاً. ”أنا لَسْت كَذَلِك. لَسْت كَذَلِك!”

إن غَضَبُ كولِن وَكِبْرِياءَهُ جَعَلاه يَنْسى كُلَّ شَيْءٍ. وَحلَّت قُوَّةٌ غَريبَة لم يكُن يَعْرِف أَنه يَمْلِكُها.

صَرَخَ كولِن: ”تَعال إلى هُنا يا ديكون.” ثُمَّ أزاحَ البِطّانِيَّةَ عَن ساقَيْهِ.

اتَّكَأَ كولِن عَلى ديكون فيما كانت أقدامَهُ تطأُ العشبَ. ثم وَقَفَ عَلى قَدَمَيْه مُنْتَصِباً كَرمْحٍ قَويٍّ.

هَتَفَ كولِن: ”انْظُروا إِلَيّ! انْظُروا!”

قالَ ديكون: ”إِنَّه كَأَي صَبِيّ في المِنْطَقَة بَل وَالعالَم بِأَسْرِهِ.”

ذَرَفَ البُسْتاني بِن الدُّموعَ متأَثِّراً. نَظَرَ إِلَيْه كولِن وَقالَ: ”إِنّي سيِّدك في غِياب أَبي. هَذِهِ حَديقَتي! إِيّاك أَن تُخبرَ أحداً عَمّا رَأَيْت اليَوْم. وَالآن، انْزِلْ عَن سُلَّمِك، وَادْخُلْ مِن الباب.”

قالَ البُسْتاني بِنْ: ”حاضِرْ يا سَيِّدي.”

بَعد أن غادَرَ البُسْتانِيّ نَظَرَ كولِن إِلى شجرة قريبة وَقالَ: ”سَأَمْشي إِلى تِلْك الشَّجَرَةِ هُناك. أُريدُ أن أكون وَاقِفاً عِنْدَما يَأْتي ذَلِك البُسْتانِيّ.”

صَرَخَت ماري وَأَنْفاسُها مُتَقَطِّعَة: ”يُمْكِنُك أن تفعَل ذَلِك، يُمْكِنُك أن تفعَل ذَلِك!”

مَشى كولِن إِلى الشَّجَرَةِ، وكان مُتَماسِكاً عَلى الرُّغْمِ مِن مُساعَدَةِ ديكون وَإِمْساكِهِ بِيَدِهِ.

وَصَلَ البُسْتانِيّ بِنْ فَنَظَرَ كولِنْ إِلَيْه وَقالَ: ”هَل أَبْدو لَك الآن مُقْعَداً؟”

هَزَّ البُسْتانِيّ رَأْسَهُ نافِياً.

قالَ كولِن: "كانت هَذِه حَديقَة وَالِدَتي، ألَيْس كَذَلِك؟"

قالَ بِنْ: "نعَم يا سَيِّدي، كانت حَديقتَها."

قالَ كولِن: "إنَّها حديقتي الآن، سَوْف آتي إلى هُنا كُلّ يَوْم! ولكنَّ هَذا الأمْر يجبُ أن يَبْقى سِرّاً. سأُرْسِلُ بطلَبِك أحْياناً عِنْدَما نَحْتاجُ للمُساعَدَة، ولَكِنَّك حاوِل قَدر المُسْتَطاع ألاّ يَراك أحَدٌ."

قالَ البُسْتانِيّ بِنْ: "لَقَد أَتَيْتُ إلى هُنا مِن قَبْل، ولَم يَرَني أحد. أُمُّك رَحِمَها الله كانَت في غايَة الرِّقَّة والجَمال، وَلَقَد وَعَدْتها بأن أعْتَني بورودِها. لقَد تَوَقَّفْتُ عَن المَجيء إلى هُنا فقط مُنْذ سَنتَيْن. فَلَم أعُد أَسْتَطيع تَسَلُّق الجِدار وَالنُّزول إلى الحَديقَة."

ابْتَسَم كولِن وَقال لَه: "أنا سَعيدٌ لأنَّك اهْتَمَمْت بالورودِ طَوال تِلْك الفَتْرَة. الآن أَسْتَطيعُ الوُثوقَ بِك وَائْتِمانك عَلى سِرِّنا."



نَظَر كولِن إلى الأرْضِ حَيْث توجدُ مِجْرَفَة ماري ثم انْحنى والْتقطها. وعندها همّ بحفرِ الأرْضَ بِها. علَت وَجْهَه تعابيرُ لم يَعْلَمْ أحَدٌ ماذا تَعْني.

هَمَسَت ماري في نَفْسِها: "يُمْكِنُك أن تفعَل ذلِك. أعْلَم أنَّه يُمْكِنك أن تفعَلَ ذلِك!".

قالَ البُسْتانِيّ بِنْ: "سَأُحْضِرُ غَرْسَة وَرْدَةٍ جَميلَةٍ لكي تَزْرَعها بِنَفْسِك، يا سَيِّدي."

وَفيما ذَهَب البُسْتانِيّ بِنْ لِيُحْضِر الغَرْسة الصَّغيرة، أخذ ديكون يوسِّع حجم الحُفْرَة بينما ذهبت ماري لإحضارِ الماءَ.

قالَ كولِن: "أُريدُ الانْتِهاء مِن زِراعَتِها قَبْلَ مَغيبِ الشَّمْس."

ارْتَجَفَت يَدا كولِن فيما كانَ يُمْسِكُ بالغَرْسة لزِراعَتِها، ثم وَضَعَها في الحُفْرَة وَرَواها بالماء.

وعِنْدَما انْتَهى، قالَ كولِن: "لقد زرعتُها!" والشَّمْسُ آخِذَةٌ بالمَغيبِ، ساعِدْني يا ديكون. أُريد أن أكونَ وَاقِفاً عندما تَخْتَفي الشَّمْس. هَذا جُزْءٌ مِن اللَّحْظات الرَّائِعَة التّي لا تُنْسى."

وبالفعل فقد ساعده ديكون وبينما كانتِ الشمسُ تختفي وراء الأفق لتُنْهي هذا النهار الغريب، كان كولن يقفُ على قدميهِ وهو يضحك.

غابَتِ الشَّمْسُ وكولِنْ ما زال يَضْحكُ، تَمْلَؤُهُ الثِّقَةُ وَالسَّعادَة. كان يَوْماً رائِعاً...

الفصل التاسع

أمرٌ مذهل!

حدَثت أُمورٌ مُذْهِلَة في الأَشْهُرِ التي تلَتْ حادِثَةَ الحَديقَة. فقد كَبُرَتِ النَّباتاتُ التي زرَعها ديكون وماري. وَ انْتَشرتِ الوُرودُ بِشَكْلٍ رائعٍ في كُلِّ مكانٍ. وكانت تَنْمو في كُلِّ يَومٍ بل في كُلِّ ساعَةٍ. كانت البَراعِمُ صَغيرَةً في البِدايةِ ثُمَّ أخذت تتفتَّحُ لِتَمْلأَ الأَجْواءَ بالرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ الزَّكيَّةِ.

قالت ماري: "هذا مُذْهِلٌ!"

قالَ كولِن: "أجل... مذهل بالفِعْل." ثُمَّ بدَأَ بالغِناء: "الشَّمْسُ مشرِقَةٌ، هذا رائِعٌ... الأَزْهارُ تنْمو، هذا رائِعٌ... ولَكِن الأَرْوَع من كل ذلك هو بَقائي علَى قَيْدِ الحَياةِ... الرَّوْعَةُ موجودةٌ في كُلِّ واحِدٍ منّا، الرَّوْعَةُ فينا جميعاً."

كانت ماري تُصْغي لِما يقوله كولِن بدَهْشَةٍ. فجأة قالَ لها كولِن: "سَوْف أَتجوَّلُ الآن في الحَديقَةِ." وهكذا فعَلَ. وَأثناء سيرهِ كان يَقول: "الرَّوْعَةُ في داخِلي... وقد أَعْطيتُ دَفْعاً للاسْتِمرار... أَشْعُرُ بالقُوَّةِ في أَوْصالي... أَشْعُر بالقُوَّةِ..."

نَظَرَ كولِن إلى الجَميعِ وَقال: "لا أُريدُ أن يَعْلَم أَحَدٌ بِمَقْدِرَتي على السَّيْرِ إلاّ عِنْدَما أُصْبِحُ قَوِيّاً تَماماً. لا أُريدُ أن يَعْرِفَ الطَّبيبُ ذلِك. وَعِنْدَما يَعودُ والِدي، سَوْف أَدْخُل إلى مَكْتَبِهِ لأُفاجِئَه."

ولكِن هُناك مُشْكِلَةٌ واحدة، وَلَم يَجِد ديكون نَفْسه إلاّ وَهُو يُخْبِر وَالِدَته بِها. "أُمّي، السَّيِّد كولِنْ يَشْعُر بِالجوعِ طَوال الوَقْت. يُفْتَرَض أن يكون مَريضاً لِذَلك فَهُو لا يَسْتَطيعُ طَلَبَ المَزيد مِن الطَّعام. وَكذَلِك ماري يا أُمّي، فَهي طَوال الوَقْت في الهَواءِ الطَّلْقِ في الخارِجِ وَهَذا يُشْعِرُها بالجوعِ الشَّديدِ أيضاً".

ضَحِكَت الوالِدَةُ أولاً، ثُمَّ نظرت إلى ديكون وخاطَبَتْهُ بِجِدِّيَة: "أَعْرِفُ طَريقَةً لمُساعَدَتِهما. خُذ لَهُما بَعْضاً مِن حَليبِ الماعِزِ الذي تَحْلِبُه يَوْمِيّاً. وَأنا سَأَخْبِز لَهُما رَغيفَي خُبْزٍ بِاللَّحْم".

وَهكذا حدَثَ كُلَّ يَوْم. وَعِنْد مَجيء الطَّبيب لِتَفَقُّد كولِنْ، قالَ له: "إنَّك تَسْمَن. وَصِحَّتُك في تَحَسُّن. سَوْف يَفْرَحُ وَالِدك بِهَذِهِ الأَخْبار."

هَتَفَ كولِنْ: "لا تَقُل لَه شَيْئاً. سَوْف يَخيبُ أَمَلُه إذا ما تَدَهْوَرَتْ صِحَّتي ثانِيَة... إنَّك تُشْعِرُني بالغَضَبِ لِهذا الكَلام، وَهَذا لَيْس بِالأَمْرِ الجَيِّد لي."

أَشارَ الطَّبيبُ إلى فَمِهِ قائِلاً: "لَن أَتفَوَّه بِكَلِمَةٍ مِن دون إِذْنِك يا صَغيري."

اسْتَمَرَّتِ التَّمْثيلِيَّة على هذا النحو. وفي كُلِّ صَباحٍ كان ديكون يَجْلِبُ الحَليبَ الطَّازَجَ والطَّعامَ المَخْبوزَ الذّي قامَتْ وَالِدَته بِطَهْيِه إلى كولِن وَماري. تَحَسَّنَتْ صِحَّةُ كولِن وَماري إلى حَدٍّ كَبير.

قالَ الطَّبيبُ إلى السَّيِّدَة مِدْلوك: "كولِن هو الآن شَخْصٌ آخر."

أدرك كولِن وماري أنّ والِدة ديكون مضطرَّةٌ الآن لإطعام

شخصَيْن إضافيَّيْن فأرسلا إليها بعضَ المالِ لشراءِ البيضِ والبطاطا. وكان مفعول هذا السحر يؤثّر في كولن كلَّ صباح.

قالتِ السَّيِّدة مِدْلوك: "وكذلك الفتاة ماري، إنَّها تزْدادُ جمالاً. لقد أصْبَح شعْرُها كثّاً وَخدّاها حمْراويْن. إنَّها تضحكُ في كلِّ الأوْقات مَع السَّيِّد كولِنْ. رُبَّما كان ذلك السَّببَ في تحسُّن صِحَّتَيْهما".

"فقال الطَّبيبُ مُبْتسماً: "إذن... فليضْحكا ما شاءا."



الفصل العاشر

في الحديقة

في أحدِ الأيّام، في الحديقةِ، رَمى كولِن المِجْرَفة من يَدِه على الأرْض وَشدَّ يَديْه وَجسَده إلى الأعْلى. كان وَجْهُهُ ينضحُ صِحَّةً وَعافِيَةً ثمَّ هتفَ قائلاً: "ديكون! ماري! انظُرا إليّ!"

توَقَّفَ ديكون وماري عَن غرْسِ النَّباتاتِ وَنظرا إليْه. قال كولِنْ: "أنا بِخَيْر. لَطالما تمنَّيْتُ ذلِك، لقد عادتْ لي عافِيتي، ولا أكُفُّ أشْعُر بِروْعَةِ العيْش."

ثمَّ قال فجأةً بانْزعاج: "هُناك شَخْصٌ قادِمٌ، فمَن يكون؟"

نَظروا ثلاثتهم إلى بابِ الحديقةِ، فإذ بوالدةِ ديكون تدْخُلُ الحَديقةَ. وعِنْدما اقْترَبت قالَ لها كولِنْ: "هَل فوجِئْت بِصِحَّتي؟"

قالَت الوالِدةُ وَالدُّموعُ تمْلأُ عيْنيْها: "نعَم يا صغيري. كذلِك أشْعُر بأنّي أرى والِدتَك... فأنْت تُشبِهُها إلى حدٍّ كبير."

سَألها كولِنْ: "هَل سيُحِبُّني وَالِدي الآن، وَقد تحَسَّنت صِحَّتي؟"

قالت له الوالِدَة: "بالطَّبْع يا صغيري. سيأتي قريباً، قريباً."

وَفيما كانت الحديقةُ تضجُّ بالحياةِ، وتعْطِي الأمَلَ والعافِيةَ لِطفْلَيْن صغيرَيْن، كان السَّيِّد كرافن ينْتقِلُ من مدينَةٍ إلى مدينَةٍ

أُخْرى تُثْقِلُهُ الهُمومُ وَالأَحْزان. وَفي أَحَدِ الأَيّامِ، وَصَلَتْه رِسالَةٌ مَجْهولَةُ الهَوِيَّةِ. فَفَتَحَها وَقَرَأَ ما فيها:

"سَيِّدي الفاضِل،

لو كُنْتُ مكانك لَحَضَرْتُ إلى المَنْزل. أظنُّ أنَّ السَّعادة سَتَمْلأُ قَلْبك إن أَتَيْتَ. وإن أَذِنْتَ لي سَيّدي بِالقَول إنّ السَّيِّدة زَوْجَتك كانَت سَتَطْلبُ مِنْك المَجيء لَو كانَت على قَيْدِ الحَياةِ.

المُخْلِصَة، وَالِدة مارتا".

انْطَلَقَ السَّيِّد كرافن فَوْراً إلى المَنْزِل تَتَخَبَّطُه الأَفْكارُ عَمّا يُمْكِن أَن يَكون قَد حَصَلَ. وَفَوْرَ وُصولِه، أَرْسَلَ في طَلَب السَّيِّدَة مِدْلوك وَسَأَلَها: "كَيْف حال وَلَدي كولِن؟"

أَجابَتِ السَّيِّدَةُ مِدْلوك: "إنَّهُ مُخْتَلِفٌ الآن، يا سَيِّدي. إنّه يُصِرُّ على الذَّهابِ إلى الحَديقةِ كُلَّ يَوْم. يَذْهَب مع الآنِسَة ماري وَديكون شَقيق مارتا."

سَأَلَ السَّيِّد كرافن: "كَيْف يَبْدو؟"

أَجابَتِ السَّيِّدَة مِدْلوك: "إنّه يَمْرَح وَيَضْحك طَوال الوَقْت مَع الآنِسَة ماري."

قالَ السَّيِّد كرافن: "لَم يَكُن يَضْحك أبَداً مِن قَبْل."

سَأَلَ السَّيِّد كرافن: "أَيْن هُو الآن؟"

أَجابَت السَّيِّدَة مِدْلوك: "في الحَديقة الخَلْفِيَّةِ، يا سَيِّدي."

خاطَبَ السَّيِّد كرافن نَفْسه بَعْد ذَهابِ السَّيِّدَة مِدْلوك: "هَل يُمْكِن أَن يَكون كولِن هُناك؟ في تِلْك الحَديقَةِ السرية؟"

انْطَلَقَ السَّيِّد كرافن إلى الحدائِق الخَلْفِيَّةِ. تَوَقَّفَ حَيْث طمر المِفْتاحَ مُنْذ عشرِ سَنوات. وَلكِنَّه لَم يَجِدْه. ذُهِلَ ثُمّ سَمِعَ أَصْواتاً آتِيَةً مِن داخِلِ جُدْرانِ الحَديقة. إنّه صَوْتُ صُراخٍ وَضَحِك وَمَرَح. سَمِعَ السَّيِّد كرافن صَوتاً يَقول: "سَأُسابِقُكِ إلى الباب." هَل ما يَسْمَع حَقيقة؟ دَخَلَ الحَديقَةَ، وَما لَبِثَ أن اصْطَدَم بِه صَبِيٌّ كان يَرْكُضُ بِسُرْعَةٍ. نَظَرَ السَّيِّد كرافن فَرأى صَبِيّاً طَويلاً يَمْتَلِىء حَياةً وَحَيَوِيَّةً.

أَزاحَ السَّيِّد كرافن خُصْلاتَ شَعْرِ الصَّبِيّ عَن جَبينِه. فَلَمَعَتْ عَيْنان جَميلَتان لَوْنُهما رائِعٌ. صَرَخَ السَّيِّد كرافن بِذُهول: "ماذا؟ مَن؟"

لَم يَكُن ذلِك ما خَطَّطَ لَه كولِن، وَلكِن هَذِه هِي فُرْصَته الآن. هَتَفَ قائِلاً: "أَبي، إنَّني كولِن!"

هَتَفَ السَّيِّد كرافن: "هُنا في الحَديقَة؟"

قالَ كولِن: "أَجل يا أَبي هُنا... لَقَد كانَتِ الحَديقَةُ السَّبَبَ وَراء تَحَسُّنِ صِحَّتي، وَكَذلِك ماري وَديكون." ثُمَّ لَمَسَ يَد وَالِده وَقال: "أَلَسْتَ سَعيداً يا أَبي؟"

وَضَعَ السَّيِّد كرافن يَده عَلى كَتِفِ كولِن وَقال: "لا تَدْري مَدى فَرحَتي الآن يا بُنَيّ." ثُمَّ قالَ: "أَرِني الحَديقَة يا صَغيري. أَرِني إيّاها."

أَمْسَك كولِن يَد وَالِده وَراحَ يَجوبُ بِهِ في الحَديقَة. فَقالَ السَّيِّد كرافن: "لَقَد ظَنَنْتُ أَنَّها مَيتة!"

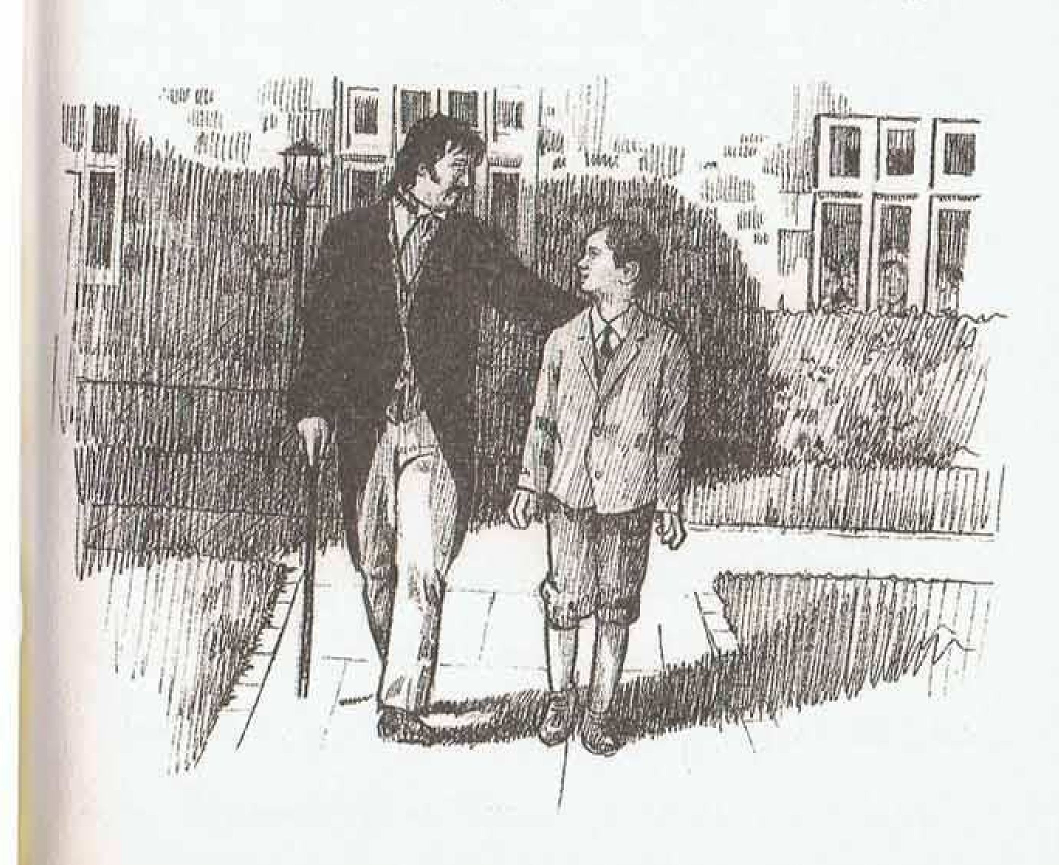
ثم جلَسَ الجَميعُ أسْفَلَ شَجَرَة، وَأصَرَّ كولِن على الوقوفِ فيما كانَ يَرْوي لوالِدِه ما جَرى.

بَعْد ذلِك، وَفيما كانَتِ السَّيِّدَةُ مِدْلوك تُطِلّ مِن النَّافِذَةِ، صَرَخَتْ مُنادِيَةً الجَميعَ بِحَماسَةٍ فائِقَةٍ: "تَعالوا، انْظروا!"

رَكَضَ الجَميعُ نَحْو النَّافِذَة لِرُؤْيَةِ ما يَحْدُث.

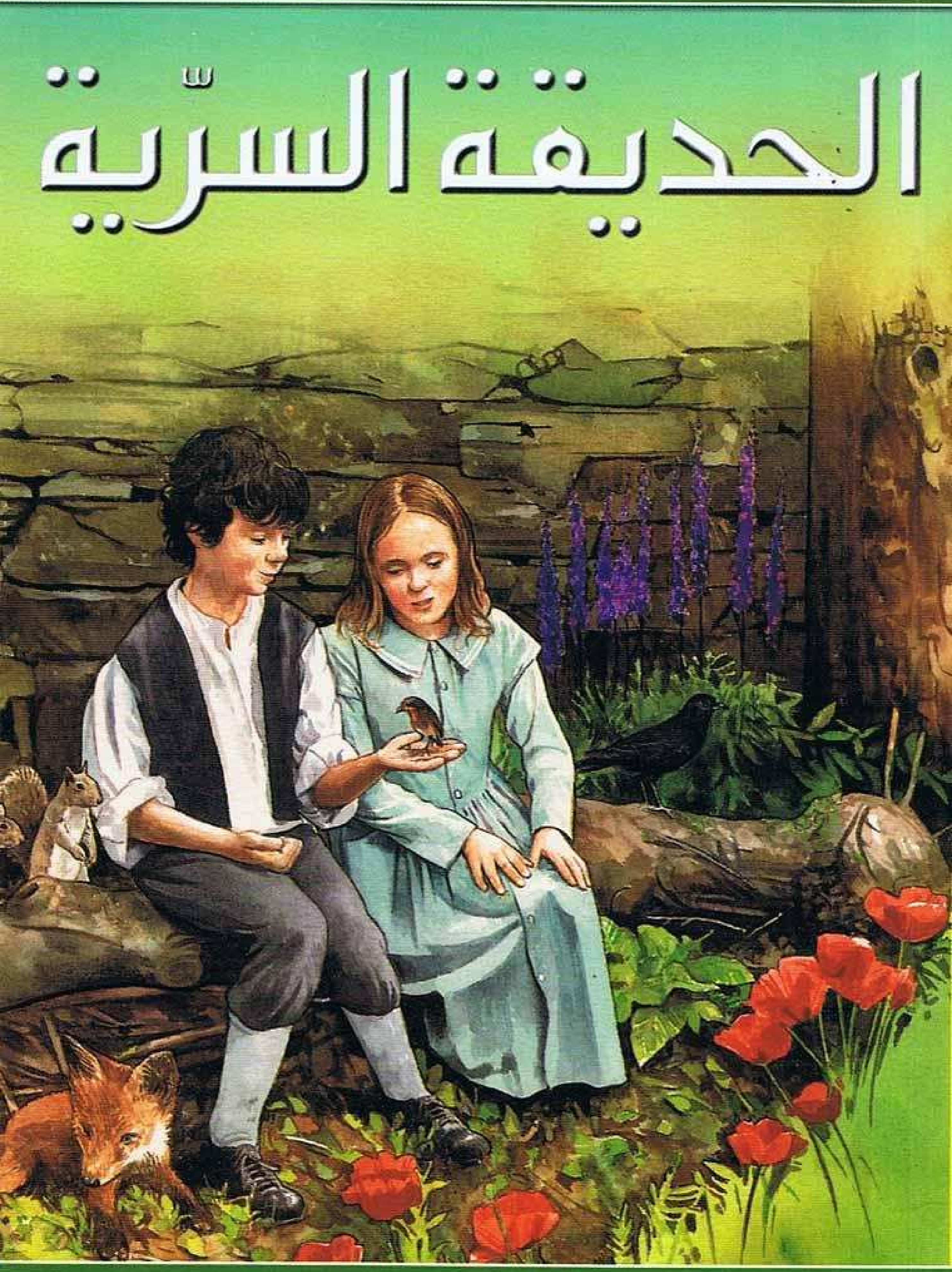
فَوْق العُشْبِ الأَخْضَر الرّائِع كان السَّيِّد كرافن يَمْشي وَبِجانِبِه ابْنه السَّيِّد كولِن، سَيِّدا هَذا المَنْزِل. كان السَّيِّدُ الصَّغيرُ يَمْشي وَرَأْسه مَرْفوعٌ للأعْلى وَعَيْناه تَمْتَلِئان فَرَحاً وَسَعادَة.

فَرَحٌ وَسَعادَةٌ افْتَقَرَ لَهُما هَذا المَنْزِل لِمُدَّةٍ طَويلَةٍ!



أروع القصص العالمية

الحديقة السرّية



أكاديميا